دراسات غربية

تشهد لتراث الإسلام

أ. د. محمد عمارة



شهادات غربية
لتراث الإسلام

مُهداة :

- إلى الذين يعتزون بتراث أمتهم .
- وإلى الذين يعرفون بما لا يعرفون !

جمع وتقديم

أ.د محمد عمارة

- ١ -

عوامل تَفَوُّق الإسلام



شهادة العلامة

مونتجومري وات

تمهيد

هذه الشهادة الغربية، المنصفة للإسلام، وحضارته، وثقافته.. بل والمؤكدة على صدقه.. وعلى رقيه وتفوقه على الديانات الأخرى.. هي لواحد من أعمدة الاستشراق المعاصر، وأعمدة الثقافة الغربية المعاصرة: المؤرخ والباحث الانجليزي، النصراني الأنجليكاني «مونتجومري وات **Montgomery Watt**» (١٩٠٩ - ٢٠٠٦م).

وهو متخصص في اللغة العربية وآدابها.. ومتخصص في الدراسات الإسلامية الأكاديمية.. وفي علم الكلام الإسلامي.. وفي التاريخ الإسلامي.. وعميد لقسم الدراسات العربية في جامعة (أدنبرا).. وحاصل على الدكتوراه في علم الكلام الإسلامي - بموضوع الكسب والجبر والاختيار.. وصاحب المؤلفات العديدة. ومنها: (عوامل انتشار الإسلام) سنة (١٩٥٥م).. و(محمد في مكة) سنة (١٩٥٨م).. و(محمد في المدينة).. و(الإسلام والجماعة الموحدة) سنة (١٩٦١م).. و(محمد: النبي ورجل الدولة).. و(الإسلام والمسيحية في العالم المعاصر) سنة (١٩٦٩م).. إلخ.. إلخ.

وهذه الشهادة المنصفة للإسلام وحضارته وثقافته .. والمؤكدة على تفرد صدق الوحي القرآني - قد جاءت ثمرة لدراسات - موضوعية - للإسلام - مقارنا بالديانات الأخرى - دراسات استمرت لأكثر من ثلاثين عاما - بدأت سنة (١٩٣٧م) - مع معايشة للواقع الإسلامي .. وحوارات مع العديد من علماء الإسلام .. حتى جاءت هذه الشهادة ثمرة لانحياز هذا العالم المرموق في بحار الديانات والحضارات والثقافات . في تاريخها المديد . وواقعها المعاصر .. حتى لقد جاءت هذه الشهادة - كما يقول هذا العالم المرموق : ثمرة لمراحل من التقدم والارتقاء نحو نظرة حيادية لا تنحاز لأي من الدينين - المسيحية والإسلام - رغم مواصلة العيش على أرض الواقع المسيحي، ممارسا لما تفرضه المسيحية على من يدين بها .. مع ما استلزمه هذا الارتقاء وهذه الحيادية من معاناة وتوتر داخلي !.

وهو . في هذه الشهادة . يتحدث عن :

١ - الأهداف المتوخاة من كتابته عن الإسلام، مقارنا بالنصرانية .

٢ - ويقدم شهادة عالم نصراني عربي على صدق الوحي الإلهي كما تجسد في القرآن الكريم . وعلى تميز الوحي في القرآن عنه في التوراة والإنجيل .. وعلى صدق نبوة ورسالة محمد ﷺ .



٣- كما يشهد هذا العالم النصراني العربي على تراث القرآن.. وحدته.. وأصالته.. وعلى أن جمعه إنما هو جمع النبي.. وعلى الثقة بالنص القرآني المتداول بين الناس.. وعلى أن تعدد القراءات لبعض أحرف القرآن لم يؤثر في وحدة معاني النص القرآني.. وعلى مركزية القرآن ومحوريته في الثقافة الإسلامية.

٤- كما يشهد للغة العربية - لغة القرآن.. ولسان الشريعة الإسلامية - باعتبارها لغة حضارة وثقافة راقية ومتميزة.

٥- ويشهد لعالمية الإسلام.. وتفوقه.. ورقيه.. وبأنه منهاج شامل للحياة.

٦- ويشهد - كذلك - على أن انتشار الإسلام، وتراجع المسيحية - في الشرق - إنما يرجع إلى الضعف الذاتي الكامن في تلك المسيحية، وإلى فشلها في تلبية احتياجات الإيمان الديني الذي تطمئن به القلوب.. وذلك على العكس من التوحيد الإسلامي، الذي حقق تفوقا لا يجارى في هذا الميدان.. وعلى استمرارية هذا الفشل - المسيحي - في عصرنا الراهن، والذي يتخذ شكل تراجع المسيحية وتقدم الإسلام.

٧ - كما يشهد على مكانة الإسلام، وعظمته المتميز في دين المستقبل ... وتفرده - دون الأديان الأخرى - في حل مشكلة العنصرية.

٨- وعلى نزعة التعصب في الحضارة العربية .. وتمركزها حول ذاتها.

٩- وعلى خطر النظرة العلمانية على القيم والأخلاق.

١٠- كما يحدد - في شهادته هذه - شروط الحوار المثمر بين أهل الأديان.

يشهد «مونتجومري وات» على ذلك كله فيقول:



(١)

الأهداف

إن هدفي الأساسي هو:

* أن أقدم الإسلام بأفضل شكل مبسط للقارئ الأوربي والأمريكي الذي ينظر للأمور بمنظور ديني أو بمنظور علماني.

وإني أقصد بذلك أن أبطل مفعول الآثار الباقية من دعايات حروب العصور الوسطى (الحروب الصليبية). كما أني حاولت أن أجعل القارئ يتحقق، على نحو أفضل من ذي قبل، من أهمية الإسلام، التي تجلت طوال مئات السنين التي أعقبت حروب العصور الوسطى هذه.

* والهدف الثاني: هو أن أوضح للمسلمين أن الدارسين الغربيين ليسوا بالضرورة معادين للإسلام كدين، بل إنه من الممكن أن نحصل من هذه الاتجاهات...[1]

---

(١) مونتجومري وات: الإسلام والمسيحية في العالم المعاصر (ص٢٣)، ترجمة د. عبد الرحمن عبد الله الشيخ، طبعة القاهرة، مكتبة الأسرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب.



(٢)

الوحي القرآني

إن جزءاً من أهداف هذه الدراسة هو تعريف المسيحيين بمفهوم الإسلام للوحي، وتعريف الذين لم يدركوا منهم حتى الآن أن الوحي الإسلامي مسألة لابد من تناولها بجدية.

إن القرآن الكريم ليس بأي حال من الأحوال كلام محمد، ولا هو نتاج تفكيره، إنما هو كلام الله وحده، قصد به مخاطبة محمد ومعاصريه. ومن هنا فإن محمداً ليس أكثر من رسول، اختاره الله لحمل هذه الرسالة إلى أهل مكة، أولاً، ثم لكل العرب. ومن هنا فهو قرآن عربي مبين. وهناك إشارات في القرآن إلى أنه موجه للجنس البشري قاطبة، وقد تأكد ذلك عمليا بانتشار الإسلام في العالم كله، وقبله بشر من كل الأجناس تقريبا.

وهذه الفكرة نفسها عن «الوحي» اعتنقها مسيحيون كثيرون عبر القرون، فاعتبروا كلمات الكتاب المقدس هي كلمات الله نفسه. إلا أنهم - عادة - لا يفترضون أن كلمات الله قد حملها مصدر خارجي ممثل في ملك أو ملائكة يملونها على كتاب الأناجيل. وإنما يلقى في روع هؤلاء الكتاب أن ما يكتبونه إنما هو كلام الله حقا. فالأنبياء الوارد ذكرهم في العهد القديم يعلنون دون تردد: «هكذا يقول الرب ...» لذا،

ولابد أنهم كانوا يعتقدون أن ما ينطقون به من كلمات إنما هو بمعنى من المعاني كلمات الله حقا.

إنني أعتقد أن القرآن بمعنى من المعاني صادر عن الله، وبالتالي فهو وحي.

وكما رأى المسيحيون أن تاريخهم شهد «حوارا» بين المسيحية وبين العلمانيين المناهضين للدين، فإن هذا يعني أنه من المستحيل الاستمرار في الأداء بوجود «وحي» أو «رسالة» أو «ديانة» مسيحية دون الاعتراف «بشيء» من الصحة «للوحي» أو «الرسالة» أو «الديانة» الإسلامية.

والمنهج الذي اتخذه في هذه الدراسة هو أن أحاول تقديم ما أستطيع إلى مستوى الحقيقة الخالصة. ولن أتعرض للقرآن باعتباره من إنتاج محمد، وإنما باعتباره وحيا.

وكيف وصلت هذه الكلمات التي كونت التجربة الأولى إلى وعي محمد أو شعوره؟

إننا نؤمن بصدقه وإخلاصه عندما يقول إنها ليست نتيجة أي تفكير واع منه.

إن التجربة النبوية مع الوحي يمكن إيجاز ملامحها الرئيسية فيما يلي:

١ - محمد يشعر، وهو في حالة وعي، أن هناك كلمات بعينها تلقى في روعه أو تحضر في قلبه أو عقله الواعي.

[illegible] في [illegible]

[illegible] في [illegible]

[illegible] في [illegible] لدى [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] في [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] قول صحيح

[illegible]

(٢)

التراث العربي وجدته وأصالته وحفظه ومحوريته في الثقافة الإسلامية

[illegible]

[illegible] الأحرف [illegible]

[illegible] في [illegible]
[illegible] في [illegible]

[illegible]
[illegible]
([illegible] هـ ٥٤ [illegible] ٦٦٥) [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] (٦٥٠م)

[illegible]
[illegible] على [illegible]
في [illegible] الأخرى

[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] في المجتمع الإسلامي

وهكذا كان العربي الذي [illegible] على طريقة [illegible]
[illegible] المجتمع الإسلامي [illegible] لا ما هو
[illegible] الحياة الإسلامية والحضارة العربية
[illegible] يكون [illegible] يعرف [illegible]

(٤)

العربية.. لغة حضارة وثقافة متميزة

[illegible]

[illegible]

[illegible] Standard Man [illegible]

[illegible]

(٥)

عالمية الإسلام وتفوقه .. ورقيه

[illegible] بحركة [illegible]

[illegible] عليها [illegible]

[illegible] ثم [illegible]

[illegible] في [illegible] من [illegible]

في [illegible] في [illegible]

[illegible] في من [illegible] لا [illegible]

[illegible] حركة [illegible] في هذه

[illegible] في هذه

[illegible]

[illegible] الأسبق [illegible]

[illegible]

[illegible] في [illegible]

[illegible] في [illegible]

[illegible]

[illegible] في [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] في [illegible]

[illegible] من [illegible]

[illegible]

[illegible] بصورة [illegible] في النفس

[illegible] The Will Of God [illegible]

[illegible] The Moral [illegible] Will [illegible] Command Ments [illegible]

[illegible] Relig [illegible]

[illegible] Christ [illegible]

[illegible]

(٦)

فشل المسيحية في الشرق الأوسط

[illegible] في [illegible] الإسلام في الشرق الأوسط [illegible] المسيحية التي [illegible] في هذه المنطقة [illegible] في [illegible] المسيحي [illegible] الإسلامي [illegible] في [illegible] نهايته

[illegible] كثيرا في هذه [illegible] الإسلام [illegible] Arnold Toynbee (١٨٨٩ – ١٩٧٥ م) على [illegible] المسيحية [illegible] في قلب [illegible] المسيحية [illegible]

[illegible] في [illegible] المسيحية [illegible] المستشرقين [illegible] في [illegible] في [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] Christopher Dawson [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] الإسكندر (٣٥٦ - ٣٢٤ ق م) [illegible]

محمد هو مؤسس الدولة الإسلامية [illegible]

[illegible] دولة كبرى [illegible]

[illegible] في مواجهة [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

التي تعود إليها الحركات التبشيرية، وفي الوقت نفسه وجدت
[illegible] و [illegible] حركة نشطة في [illegible]
[illegible] الكبرى الأخرى غير المسيحية، [illegible]
[illegible] جديدة [illegible] الإسلام [illegible] في عدد
[illegible] في [illegible]
[illegible] الإسلام في أوروبا.

[illegible] ١٩٨٩
[illegible] ١٥٤

(٧)

الاسلام هو الهيكل الاساسي لدين المستقبل

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] لا يستطيع [illegible] عن
[illegible] على [illegible]
[illegible] الأخرى

[illegible] الإسلام [illegible]
[illegible]
[illegible] ... [illegible]
[illegible] الأخرين [illegible]
[illegible] الإسلام [illegible] في [illegible] أخرى
[illegible]

والإسلام [illegible] قوي [illegible] عظيم
[illegible] على [illegible]
[illegible] الأساسي [*]

[illegible] الإسلام [illegible] في [illegible] ٢٢
(٢٣٨ - ٢٣٩)

(٨)

تعصب المركزية الأوروبية

[illegible]

[illegible]

(٩)

العلم والعلمانية .. والقيم

- [illegible] لا [illegible] [illegible] ؟

و [illegible] المنهج العلمي [illegible] معرفة [illegible]

في نظرة علمانية [illegible] لا مجال للقيم [illegible]

والأخلاقيات.

وكثير من المسيحيين الآن يعملون [illegible] في [illegible] هذه النظرة العلمانية للعلم ويحتفظون في الوقت نفسه بعقائد [illegible] [illegible] مع [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] النظرة العلمانية التي [illegible] [illegible].

ويشعر المتدينون من مختلف الأديان [illegible] [illegible] بين النظرتين [illegible] [illegible] [illegible].

[illegible]

ان تقف ... الحرص ... تقف ... ممكن ... من يكونون بصدد ... بقوة بين ... الموضوع ... يعرف شيئا أكثر ... من ... كلمة ... الا يتبع ... من لا يستطيع التعبير عنه بكلمة واحدة ... بوضوح ...

إن مثل هذا الكلام ليس حوارا يأتي بمعنى من المعاني ... الأهمية ... هذه ... لا تعني ... ولا قيمة له حتى بالنسبة للمسلم الذي وصل إلى درجة عالية من ... الثقافة ... هذه ... غير ... كلمة ... في ... على ظهر الأرض

وإذا ... في عباراتنا الحوار المقصود هنا يكون بين ... في مجالات مختلفة ... ضرورة أن يكون المشتركون في هذه الحوارات على درجة عالية من ... الأطراف فلا يمكن أن يكون هناك حوار من أي نوع ... أحد الأطراف ... بعض ... الآخر ... وقد ليس الأمر ... عن ...

الآخر. وأسباب منها اختلاف المذاهب والنية والأفكار، فإذا ما تحاور طرفان أحدهما مسيحي والآخر مسلم يبحث كل منهما للآخر عن مخرج ومبرر ليدعم الخلاف بينهما فهما سيجدان مبررات كثيرة من العناصر المدعمة للاختلاف لكن هذا لن يؤدي إلى قيام حوار حقيقي، فمن شروط الحوار الرغبة في التعلم، وإذا كان الأمر كذلك فثمة ثقافات مختلفة فقد يعني تغيير العقيدة وتحويله [illegible] التعارف يمكن أن [illegible] عقلية الآخر، والعقلية العربية تتدرب على فهم عقليات الآخرين بجعل الأمور أكثر وضوحا. فإذا بقيت لقمة موجودة في نفس الآخر فإنه سيبدأ في البحث عن سبل الانفتاح في دراسة [illegible] المسيحي [illegible] لدى [illegible] من كتابه [illegible] عبارات [illegible] المسيح [illegible] على [illegible] يبحثون عن [illegible] الأسس من ترجمته [illegible] في [illegible] المسيحي [illegible] الإسلامي [illegible] المسيحية.

وهنا كانت [illegible] في [illegible] التي [illegible] التي يجب أن [illegible] المسيحية من الإسلام

ولهذا فضرورة الحوار الحقيقي أن يعترف كل مشترك في الحوار بين النسبية الثقافية الأساسية وبين الحقيقة المطلقة، فنكران الحقيقة المطلقة يعني الرغبة في منع معنى هذا الحوار من الخروج عنه. كما يحظر معنى الحوارات الأخرى على صياغة حجج متعددة، والمغالطات والحجج المختلفة بين المتشابهين أصحاب دين واحد على تفسير نص، مع أن هذا النص يلغي غرض من الطرفين المتجادلين.

وفي الحوار مع الإسلام، يجب أن يتخلى المسيحيون عن فكرة أن محمداً لم يتلق وحياً، والفكر النسبية[1].

(١) مونتجومري وات، الإسلام والمسيحية في العالم المعاصر، (ص ٢٢٩ - ٢٣٠).

- ٢ -

عوامل امتياز الإسلام

شهادة المستشرقة الألمانية

سجريد هونكه (١٩١٣-١٩٩٩م)

نأتي هنا للشهادة ضمن الشهادات العلمية الغربية المنصفة بالإسلام، فهي للعالمة الجليلة والمستشرقة الألمانية الشهيرة سجريد هونكه، التي ولدت (في ٢٦ من أبريل سنة ١٩١٣م) بمدينة كيل الألمانية، والتي تخرجت في جامعات كيل [illegible] وبرلين [illegible] التي تخصصت في الدراسات المقارنة بين الحضارات والديانات.

وقد حصلت سيجريد هونكه على الدكتوراه من جامعة همبولدت في برلين سنة (١٩٣٩م) بأطروحة عنوانها حول تأثير الأنماط العربية في صورة الغرب العربي والأندلسي.

وقامت بتدريس الفلسفة وعلم النفس الاجتماعي والمقارن وعلم الأديان المقارن [illegible] الثقافة الإنسانية [illegible] وتاريخ الشرق الأوسط في الكثير من الجامعات.

ثم قدمت المستشرقة أعمالها الفكرية المتميزة التي تخصصت في دراسة الإسلام [illegible] الحضارة العربية والمقارنة [illegible] هذه الأعمال الفكرية.

١ - [illegible] على [illegible] سنة (١٩٩٠م) [illegible]
[illegible]
[illegible] العرب على [illegible] (١٩٩٤م).

٢ - [illegible] سنة (١٩٨٧م).

٣ - [illegible] (١٩٩٥م).

٤ - [illegible] عربية [illegible] سنة (١٩٧٦م) عن صلات تاريخية بين العرب و[illegible]

[illegible] سنة (١٩٧٣م) [illegible] وتولت الرئاسة التحريرية لها.

وفي عصر [illegible] بالمجلس الأعلى [illegible] الإسلامية [illegible] على كثير من [illegible] سنة (١٩٨١م) [illegible] سنة (١٩٨٥م) [illegible] في [illegible] سنة (١٩٨٨م).

[illegible]

[illegible] الإسلامي في [illegible]

[illegible] الإسلامية بالإبداع في [illegible]

و[illegible] [illegible] تطور الإسلام

[illegible] الإسلامي [illegible] العربي [illegible]

الإسلامي [illegible] الإسلامي

[illegible] في [illegible]

[illegible] في [illegible]

و[illegible] في [illegible] الإسلامي [illegible]

[illegible]

[illegible] الأوروبية [illegible]

٨ - [illegible] العربي الإسلامي في [illegible]

[illegible] الأوروبي [illegible] على [illegible]

[illegible]

[illegible] الأوروبي [illegible] في [illegible]

[illegible] في [illegible]

الإسلام

[illegible] العربي [illegible]

[illegible]

٩ - [illegible]

[illegible] الإسلامية

[illegible] العربية [illegible]

صور خيالية شيطانية عامة في موجة [illegible] دون أن يكون له أدنى معرفة، أو حتى إلمام طفيف صحيح به.

وتكاد [illegible] الوجود شمالي جبال البرانس حتى بما كتب في الأمبراطورية الإسلامية [illegible] ذهب رجال [illegible] الأوروبيين [illegible] لطلب العلم والمعرفة [illegible] الإنجيل [illegible] (١٩٠ ، ٢٢٠م) [illegible] (٣٥٤ ، ٤٣٠م) [illegible] الإصلاح [illegible] وهو من أخطر صور [illegible] [illegible] التي [illegible]

* ومنها غلبة [illegible] في ظل الحكم الإسلامي [illegible] طويلا في الأندلس وفي صقلية وفي [illegible] انتهت [illegible] على الإسلام في الأندلس سنة (١٤٩٢م) ثم [illegible] طرد المسلمين واليهود واضطهادهم وإكراههم على التنصير [illegible] محاكم التفتيش التي [illegible] كل [illegible] الكاثوليكية [illegible] وحرق [illegible] في حفلات [illegible] من [illegible] الإسلام واليهودية

(١) [illegible] محاكم التفتيش إلا في سنة (١٨٣٤م)

(٢) [illegible] (٦١٥ - ٦٣٥هـ)

(١٢١٨ - ١٢٣٨م) بن أخي صلاح الدين الأيوبي (٥٦٤ - ٥٨٩هـ = ١١٦٩ - ١١٩٣م) مع القيصر فريدريك الثاني (١١٩٤ - ١٢٥٠م) بمقتضاه [illegible] بين [illegible] وغير المسلمين، [illegible] ومحرمة مكانتها [illegible] والمسلمين في إقامة شعائرهم الدينية في [illegible] المقدسة كما كانت [illegible]

* [illegible] في [illegible] على [illegible] في [illegible] وهم لا يحاربون [illegible] على العكس من ذلك [illegible] ونحوها وحطموا [illegible]

* [illegible] الحروب الصليبية [illegible] في [illegible] الصليبيين [illegible] الأوقاف

[illegible] في القدس سنة (٩٩٠هـ) على يد [illegible] كان [illegible] في [illegible] القدس [illegible] في طريقه [illegible] حتى [illegible] في [illegible] تعالى [illegible]

[illegible] في [illegible]

[illegible] ، [illegible] ٥٨ [illegible]

[illegible]

[illegible]

※ [illegible]

[illegible] على [illegible] (٦١٥هـ - ١٢١٨م) [illegible]

[illegible] على [illegible]

[illegible]

[illegible] على [illegible]

(١٢٢١م) [illegible]

[illegible] في [illegible] لا

[illegible]

[illegible] هؤلاء الأسرى [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] في [illegible]

[illegible] في [illegible]

[illegible]

[illegible] الرحمن [illegible] [illegible] [illegible] ونسائهم وشيوخهم وجرحاهم [illegible] [illegible] [illegible] لم يعدوا أسراهم وكذلك [illegible] [illegible] [illegible] على [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] يستطيعون [illegible] [illegible] تحت رحمتهم لا حول له ولا سلطان.

* وحين تمكن صلاح الدين الأيوبي من استرداد بيت المقدس (٥٨٣هـ - ١١٨٧م) التي كان الصليبيون قد استولوا عليها من قبل (٤٩٢هـ - ١٠٩٩م) بعد أن تمكن [illegible] [illegible] في المسجد الأقصى [illegible] المسجد [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] دم [illegible] من النصارى [illegible] [illegible] المسلمين [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] ضرب مثلاً في التسامح بروح الفروسية العربية.

وعلى العكس من [illegible] ما يعرف بالفروسية [illegible] في الفترة [illegible] كلمة الشرف [illegible] الأسرى [illegible] ريتشارد قلب الأسد (١١٥٧ - ١١٩٩م) [illegible] [illegible] ثلاثة [illegible] [illegible] عربي [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] بدم بارد.

***

(١) [illegible] ترجمة [illegible] ١٩٩٥

(٢)

الجهاد الاسلامي

[illegible]

[illegible]

[illegible] وبرز في [illegible]

[illegible] العربي [illegible] وقت قصير [illegible] الشعري [illegible] العرب [illegible]

[illegible] لإعجاب بالشعر [illegible] عصر [illegible] في [illegible] ذلك [illegible] الكبير [illegible] عليه [illegible] لي [illegible]

[illegible] الإسلام [illegible]

* * *

[illegible]

(٢)

التحرير الإسلامي للمرأة

* إن الرجل والمرأة في الإسلام يتمتعان بالحقوق نفسها، [illegible] وإن لم تكن تلك الحقوق هي ذاتها في كل المجالات.

وفي العلاقة الزوجية التي يهتم بها القرآن اهتمامًا [illegible] المرأة إلى زوجها نظرة [illegible] على [illegible] وذلك لأن كرامتها تأبى عليها [illegible] ولولاء [illegible] ترفع به نظرها عطف وتقدير [illegible] العلاقة بينهما تخضع للأسس القائمة على الثقة والاحترام والولاء. ولا تعني تلك [illegible] يوم المرء [illegible] أن المرأة [illegible] خضوعها [illegible] من قدره بل [illegible] خضوعه [illegible] الزوجية سواء في عبوديته لله أو في حبه من يحب. وهذا هو الذي عبر عنه ابن حزم الأندلسي (٣٨٤ - ٤٥٦هـ/ ٩٩٤ - ١٠٦٤م) في كتابه طوق الحمامة حيث يقول: «ومن عجيب ما يقع في الحب من طاعة المحب لمحبوبه... ولقد وطئت بساط الخلفاء، وشاهدت محاضر الملوك، فما رأيت هيبة تعدل هيبة المحب لمحبوبه... وقد ملكت [illegible] دونه [illegible] بالحديدة الأسنة».

* [illegible] المرأة العربية [illegible] من العقود الأجنبي [illegible] الحجاب [illegible]

[illegible]

* * *

[illegible]

لقد حرك [illegible] (القرن السادس ق.م) معه [illegible] مع [illegible] أنه طرح جانباً محاولة [illegible] في محاكمة الآلهة [illegible] [illegible] لا [illegible] مرة [illegible] حوادث

[illegible] حركة [illegible] الإغريق [illegible] (٤٦٣ ـ ٥٥٠ ق.م) و[illegible] (٤٨٣ ـ ٥٤٤ ق.م)، [illegible] (٤٢٧ ـ ٣٤٧ ق.م) [illegible] في [illegible] على [illegible] لا [illegible] معرفة، [illegible] الحواس [illegible] الإنسان. إنها لا [illegible] عبر [illegible] على [illegible] مصدر المعرفة [illegible] غير [illegible] المعرفة [illegible] يلتمس [illegible] المنتظم والمضطرب [illegible] الطبيعة [illegible] في [illegible] المادة

ومن خلال [illegible] عالم [illegible] ولطبيعة [illegible] لا [illegible] على المعرفة [illegible] المعرفة [illegible] على [illegible] شيء [illegible] لا [illegible] الإنسان [illegible] لأن الإنسان [illegible] لا يستطيع [illegible] على المعرفة

(5)

العمل المسيحي الأوربي

[illegible]

... يوجد مكتوب ... أن هدم
... عقلاء ... الموجود في
... الحكماء!

... المسيحية ... في الإسكندرية وبيزنطة،
... في فرنسا وبريطانيا، أدت إلى ...

... فصلا مطلقا بين ... الأخروية
... الأرضية ... بالقداس، وكل ما هنالك
... العدو ... من التوفيق ...
... الروحي و... والروح ... والأنس
... ذلك من أوغسطين ...

* ... المسيحية ...
... للإنسان ...

... في ...

... حكمة ...
... الحقيقة

... الروح ...
... الحي

خاصا بها [illegible] تكون [illegible] للاطلاع [illegible]
[illegible]
[illegible]

[illegible]
[illegible] معرفة شكل الأرض وطبيعة
[illegible] وموقع النجوم وطبيعة الحيوانات وقوة [illegible]
[illegible]

[illegible] المسيحية [illegible] لم تكن [illegible]
من [illegible] في العالم [illegible] موقع [illegible]
من [illegible] فضلا عن [illegible] غير [illegible]
[illegible] في بعض الأسباب

[illegible] المسيحية على العالم (صورته)
كما [illegible] الأفلاطونيون [illegible] من [illegible]
[illegible] أوغسطين [illegible] أفلاطون [illegible] الأفلاطونية المحدثة [illegible]
[illegible] لم تكن [illegible]
[illegible]

[illegible] المسيحية [illegible] خارجي
[illegible] في [illegible]
[illegible]
[illegible] من خلال
[illegible] ومن خلال [illegible]

لم يكن [illegible] في [illegible] (الإغريقية)
و(الإغريقية) [illegible] المنظور [illegible]
[illegible] الإنسان [illegible]
ولكن مجهود [illegible] الكتاب [illegible] لا [illegible]
[illegible]
[illegible] في [illegible]
[illegible] في [illegible]

* [illegible] في [illegible]
[illegible] صحيح في [illegible]
[illegible] في [illegible]

* [illegible] الله و[illegible]
في [illegible] الذي [illegible]
[illegible]
[illegible] غير [illegible]
[illegible] في [illegible]

قليلا ما يفكرون في نتائجه [illegible]

[illegible] في الوقت الذي [illegible] العالم الإسلامي [illegible]
عربية على [illegible] العلوم الطبيعية انطلاقا من [illegible]
[illegible] على [illegible] في ملكوت السموات والأرض [illegible] خلق
العرب [illegible] خلق جديد [illegible] بينهم [illegible]
[illegible] وقد جلسنا يوما من الأيام [illegible]

... من المساجد ... كتاب ... [illegible] عليهم

جماعة من ... [illegible] ... فكان

نحن نقرأ ... أحد المصريين ... تفسير قوله تعالى:

﴿أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت * وإلى السماء كيف رفعت﴾ [الغاشية ١٧، ١٨]

* بعد ... [illegible] ... جديدة ...

... [illegible] ...

... في ... [illegible] ... في ...

... في ... [illegible] ... (١٢١٨ - ١٢٢١هـ) ... [illegible] ...

* ... في (... ١٢٨٥هـ) ... في ...

... [illegible] ...

... [illegible] ...

... [illegible] ...

... [illegible] ... في ... [illegible] ...

... في ... السحاب ... الذي ...

في الخارج ...

* ... الكبير (١١٩٣ - ١٢٨٠هـ) ...

... [illegible] ...

حتى بنو الخوارزمي ... محمد بن موسى بن شاكر (٢٥٥هـ ٧٨٣م) وأحمد بن موسى بن شاكر (كان حيا قبل ٢٥٩هـ ٨٧٣م)، والحسن موسى بن شاكر (٢٠٠هـ ٨١٥م) وثابت بن قرة (٢٤٨ ٢٨٩هـ ٨٦٢ ٩٠١م) وبحاثو في نظرية القوة الموازنة والستاتيكيات والميكانيك وتحليل ... لم ... في هذه ... حيث بذل جهد كبير من أجل ... البحث ... في الحركة ... عن الحركة (الموازنة) بواسطة من ... والحركة ... من خلال الاحتكاك (أو ... الفكرة ...) مرة أخرى الآن.

... (١٢٢٨م) لكنهم ... عقلية لا ... الفلاسفة المتكلمين ... لا ... الحوادث ولا ... كالحساب والهندسة ... الأعداد ... ببعض المحسوسات.

... الفلاسفة ... في ... الشخص ... هو ... أنه ... لا ... ... في ... شيء ... في ... النظرية ... في ... المعرفة الإنسانية

ولا عجب [illegible] (١)
[illegible] ١٨٠٧ [illegible] في [illegible]
[illegible]
[illegible] في [illegible]
[illegible] في [illegible]
حتى سنة (١٩٤٨م) [illegible]
[illegible] الإلحاد
[illegible]

[illegible] ١٢٠٩هـ [illegible]
[illegible]
[illegible] الإلحاد

[illegible] في [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible] لكل شيء، كل شيء من الله، والله في كل شيء، ولم
[illegible]

[illegible]
[illegible]

[illegible]

[illegible] ثم

[illegible] الإسلام لا [illegible] على [illegible] الله [illegible]

[illegible]

[illegible] ٣١

الإسلام لا [illegible] كل شيء [illegible] التي [illegible] الإنسان [illegible]

* * *

[illegible]

(٦)

رفض المسيحية للفكر اليوناني

* [illegible] القديس جيرونيموس [illegible] الفكر اليوناني [illegible]
على [illegible] ترجم [illegible] [illegible]
[illegible] Vulgata ([illegible] اللاتينية للكتاب المقدس
جيرونيموس (سنة ٣٤٦م) كلاً من هوميروس وفرجيل
(٧١ - ١٩ ق.م) [illegible] على [illegible]

* [illegible] كتب [illegible] [illegible] لتحطيم
[illegible] الإسكندرية [illegible] المعرفة اليونانية و [illegible]
على [illegible] تلك الحقبة [illegible] المسيحية
في [illegible] اليوناني

[illegible] المعرفة على
[illegible] لا يعرض من
الأشعار والفلسفة اليونانية والعلوم الإغريقية [illegible]
إبادة من تدبير التعصب المسيحي

[illegible] حرق مكتبة الإسكندرية [illegible] يتصورون [illegible]
على [illegible] الحرب [illegible]
[illegible]
[illegible] المسيحية [illegible]
على [illegible] ضد الإسلام

(٧)

العقل الإسلامي

[illegible]

[illegible]

[illegible] الإسلامي [illegible] بالذات

[illegible] الإسلامية [illegible] الشرق الأقصى سنة (١٢٥٨م) [illegible] سنة (١٤٩٢م) [illegible]

[illegible]

[illegible] الجديد

[illegible]

[illegible]

[illegible] حتى القرن [illegible]

(١٦ و ١٧) [illegible]

[illegible]

[illegible] والجبر [illegible]

[illegible] وعلم طبقات الأرض وعلم

[illegible] وعلم الكلام

* * *

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

دورا [illegible] في التطور العلمي الأوروبي

[illegible]

[illegible]

[illegible] على [illegible]

[illegible]

* [illegible]

[illegible] ١٥٨ ، ١٥٩ [illegible] ١٣٣ [illegible]

[illegible]
[illegible]
المنهج الاستقرائي [illegible] طريقة [illegible] علمي. [illegible]
[illegible] لا [illegible]
[illegible] لا [illegible]
[illegible] على [illegible]
[illegible] في [illegible]
في [illegible]»

[illegible] العربي [illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]

[illegible]
[illegible]
[illegible] في [illegible]
لا [illegible]
[illegible]
[illegible]

[illegible] ٥٢٠ [illegible]
٦٢٨هـ - ١١٢٦ - ١٢٣١م) [illegible] الذي [illegible]

[illegible] (١٢٩ - ١٩٩هـ) [illegible]

[illegible] (٦٨٧هـ - ١٢٨٨م) [illegible] ملاحظة دقيقة [illegible]

* [illegible] (٢٢١هـ - ٨٣٦م) [illegible]

[illegible] الكتابة [illegible] في [illegible] قبله [illegible]
[illegible] [illegible] [illegible] بالطريق
[illegible] [illegible] [illegible] في معرفة
[illegible] عن طريق [illegible] معرفة [illegible] [illegible]
بالأشياء، كما هي عليه، وبالمقابل [illegible] [illegible]
[illegible] الأسلوب شيء في [illegible] [illegible]

[illegible] تعلم العربي

١- [illegible] [illegible] مع [illegible] [illegible] حتى في [illegible]
لديه [illegible] مع معرفة [illegible]

٢- [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] الحاجة
[illegible] الأسلوب معرفة [illegible] [illegible]
عليه حتى [illegible] [illegible] في درجة [illegible]
[illegible] [illegible] كما [illegible] [illegible]
[illegible] في غير [illegible] [illegible] [illegible]

٣- [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]
[illegible] [illegible] في [illegible] لا
كما كانت عليه [illegible] مع [illegible] [illegible] على [illegible]
[illegible] [illegible] أو غير المعقول، كما هو
[illegible] في [illegible] [illegible] من الفلاسفة [illegible] في
[illegible] [illegible] [illegible] في [illegible] [illegible]

* * *

[illegible] في [illegible] الأشورية وما بين الرافدين

[illegible] العرب [illegible] في العدد [illegible]

[illegible]

[illegible]

* * *

[illegible] جابر بن حيان ([illegible] ٨١٥م) [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] في [illegible]

[illegible] في [illegible] والحساب [illegible]

[illegible]

[illegible]

* * *

* لقد كان جابر بن حيان (٢٠٠هـ ٨١٥م) [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] ٢٥١ ، ٣١١د ، ٨٦٥ ، ٩٢٥م [illegible]

[illegible] في [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] في [illegible]

* وفي الأندلس [illegible] ٣٣٤

٤٠٣هـ ٩٣٦ ـ ١٠١٣م) [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] إلى [illegible]

الاختصاصات الأخرى [illegible]

[illegible] في الأندلس [illegible] ٤٨١ ـ ٥٥٧هـ

١٠٩١ ـ ١١٦٢م) [illegible]

[illegible]

من خلال [illegible]

* [illegible]

في [illegible] حتى القرن (١٩) [illegible]

* * *

[illegible] على [illegible]

[illegible] في [illegible]

[illegible]

[illegible]

[illegible] أحدث [illegible] من مصادر [illegible]

[illegible] (٧١٣-٧٧٥هـ / ١٣١٣-١٣٧٤م) [illegible]

[illegible] (٦٤٦هـ - ١٢٤٨م) [illegible] [32]

* [illegible]

[illegible]

(٣٢) [illegible]

وقد [illegible] عدد كبير من [illegible] الكيميائية [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] وسيلة أخرى

وقد [illegible] في [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

ولا [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] (١٣) [illegible] [illegible] [illegible]

مهرة، فهم يسعون دائما إلى تحسين وإجراء تعديلات، ويفكرون في تجديد، ويطورون في أساليب مشاهداتهم وأدوات القياس المختلفة لديهم نحو الكمال، بينما يأخذها الغرب عنهم، ويستعملها على صورتها دون إدخال تعديلات عليها حتى عصر بيكار نيسكوت. وفي هذه الأثناء تحولت المراصد الفلكية إلى منشآت لا غنى عنها، تم بناؤها من قبل الأمراء بهواة وطلاب العلم، وغالبا ما ارتبطت بأكاديمياتهم. ومن أشهر هذه المراصد، المرصد الذي بناه المأمون (١٩٨-٢١٨هـ ٨١٣-٨٣٣م) في بغداد، وفي سامراء وفي دمشق ومرصد العزيز بالله (٣٦٥-٣٨٦هـ ٩٧٥-٩٩٦م) والحاكم (٣٨٦-٤١١هـ ٩٩٦-١٠٢٠م) في القاهرة، ومرصد عضد الدولة (٣٧١-٣٣٧هـ ٩٤٥-٩٨٢م) في بغداد. ومرصد ملك شاه (٤٦٥-٤٨٩هـ ١٠٧٣-١٠٩٢م) في نيسابور ومرصد أولوغ بيغ في سمرقند».

* «لقد كان البيروني (٣٦٢-٤٤٠هـ ٩٧٣-١٠٨٤م) أحد أهم علماء العرب في عصرهم، ولقد ذهب في تلاقيه (حيرة) المناقضة لعقيدة بطليموس مذهبا بعيدا، بحيث رفض صورة العالم بطليموسية الشاملة للشمس الدائرة حول الأرض، وفي رأيه أن الشمس ليست هي المسئولة عن تداول الليل والنهار، بل الأرض ذاتها التي تدور حول محورها مرة في اليوم، ومرة ستغل فيها حول الشمس في عام. فعل البيروني نقف

وجد مم بمعمد السيد حول فكرة « برحرحة بمعدسه

* «واكتشاف لبقع لشمسية عمى يد ابن رشد (٥٢٠ ٥٩٥هـ ١١٢٦م ١١٩٨م) سدى أقدم هو ورميه البطروجي (٥٨٠هـ ١١٨٤م) عمى ح العقده لبطيموسيه وعلى تقديم تفسيرات أخرى لمحسات لكواكب

ودرس بن باجه لأندلسي (٥٣٣هـ ١١٣٨م) بأثير ب أشد بالنسبة إليه، قوى بقوة لديه واحده، وهي دابهـ، سواء ميا م بحرب لكوكب، أو سي تحعل تفاحة نسقط من شجرة. وهو لرأي الدي يحتمه لأردوجيه لبوسابة والدي يؤسر بصفه فبرتا عمى جاليلي (١٥٦٤ ١٦٤٢م) عن طريق معلاقه سي يعرض وحودها بين القوة سرعة والمقدومة في الأجسام المتحركه»

* بعد أخرى بفلكي بكبير لسرقلي (٤٢٠ ٤٨٠هـ ١٠٢٩ ١٠٨٧م) في طليطلة ما لا يقل عن (٤٠٢) مساهده فكان أول من برهن عمى ب بعيير بعد الأرض و لسمس لتي اعتبرها ليوبطيوس ثابتة ملائمه (يتقدم نقاط نعدي معل واسبهـ) وقد قام جيرهارد كريموني بترجمة مولف السرقلي هذا إلى للاتينية وعرف باسم لمؤلف Amzache رثى عام (١٥٣٠م) استشهد كوبرنيكوس (١٤٧٣ ١٥٤٣م) في كتابه لدي نشر بالفرنسية تحت اسم De Revolution يفهم لكتاب، ويكتب نبيي (٢٤٤ ٣١٧هـ ٨٨٥ ٩٢٩م)



* «ولقد تحدث طبيب لطبري (كان حب قبل (٣٦٦هـ ٩٧٦م) عن كره نحاسة صحمه أثر ت اعجابه في عام (٨٥٠م) «امام مرصد في سامراء سهدت جهرا شرف عي به عـ لفلك و لمبكانيكيان لأخو ن محمد وأحمد بن موسى، وهو يشبه شكل الكره ويصور نجوم ورسم لبروج، ويعمل بـلطاقه نمائيه، فـإذ أفل في اسماء القعبة نجم، ختفت صورته في نفس لحظة من الجهار في نوقت لذي يغيب تحت حط لدائرة سي تمثل محب ابرؤيه فإذ طلعت في لسماء صوره نفس الكوكب، شرقت صورته أيضا على الجهار فوق خط الأفق »[٢٣]

***

«على أن لعامل لمساعد الضروري لبحث و لتجربه لدى العرب، هو الرياضيات»

لقد رأينا كيف رسى الخوارزمي لأصول لطبيعيه للرياضيات لتي تمكن من جميع لعمليات الحسابية. لكنه لا نكتفي بمساهمته بنك فقط انه يضع بين يدى زملائه الباحثين (جهاز بدوي لا غنى عنه الجبر أو علم المعادلات) الذي يسمح بموجب هذ لعلم باستخراج لعدد لصحيح، لعدد واحد و أكثر من المجهولين. وقد نشر كتابه في (٨٢٠م) وهو كتابه لثاني الذي دخل به لتاريخ

(٢٣) نعيمة و معرفة (ص ١٤٤ ١٤٥ ١٢٨ ١٢٨ ١٤٩ ١٤٧)

* وعلى حين كان علم حساب عند اليونان يعني تسمية
التصرف في الأعداد ولـرف لفكري المحض للمولعين
بالتأمل مضى الفكري والحسابي الرقش بعلم الحساب نحو مرتبة
أعلى على سلم نكمال ففي كتابه المفتاح في علم الحساب
قدم تصلهم بمراتب عددية جر تكن من نكمان. وذلك حين
استبدل تناول شخص (عدسه) الكسور بالخط الموصوف
رعم لحساب بالكسور بعسويه وهو بحرام كان لبائعة البيض
أو بائع الحليب لتوصل إلى سيحته من دوره في عاصمة تيوده ولا
كان حساب الملوك بتمثيل ممكن بدونه كست» [24]

* يقرب بين بهينهم ونسى سدى بقدر معين هو بدي
سبب الرؤية، وعلى الأغلب فإن تشكل لحسم الملموس يتبع
في نعس ويستتبع تحسمه لسماف».

ويصف وصف دقيق عدسة العين، والملتحمة، والإفرازات،
وأعصاب الرؤية التي ترسل نصافا من الأجسام انطباعات لحوس
هي تنشأ هنا صورة مصغرة بسيطة طبق الأصل ب من لهيئة لا
تحسم بمشكلة بهذه الشهيرة، فسأذ إلى تجارب المحترفة
يتوصل المدع إلى لانطباعات الحسية المسقطة في تحديد
مرهفة التي ستاحات عن بعد وعن تشكل الحسم المدرك
برى، ما بدي جعله يتوصل إلى هذه النظرية تضاعفه حول
الرؤية وصبيغة الأسماء وإنحدرت لحواس فكونه فلكيا.

(٢٤) عقيدة ومعرفة ص ١٤٢ ١٤٣ ١٤٧ ١٣٢

وعمادًا منه على مشاهداته، كشف أن سائر الأجرام السماوية ترسل ضوءًا ذاتيًا، بينما القمر وحده يستقبل نوره من الشمس. وقد قدم من ذلك تصورًا جديدًا عن طبيعة الإشعاعات الضوئية من كل موضع في الجسم المقابل تجري مستقيمة في كل الاتجاهات. وقد برهن على ذلك بشيء في كل تجربة بدقة حسابية.

وفي تجربته التي أجراها قاس كل مجالات المنظر بالهندسة، وأخذ إحدى حجرات مدرسته. وفي ذات الوقت، وبينما كان الناس في أنحائها يبذلون جهدهم عند الخسوف بطرد الغول الذي ابتلع القمر، عن طريق العويل والصخب في ذلك الوقت، كان الناس على سبر يتساءلون: كيف تحدث ظاهرة الخسوف، طالما أن القمر ذاته لا يضيء، بل يستقبل ضوءه من الشمس التي تكرره، ويظهر مع ذلك ظلاً محجوبًا، جزئيًا أو كليًا؟ وعلى القمر كون مصادر سيحتاجه. ودرس في ضوء سد الاختلافات المحرية تبين بكل شيء يمكن أن يكون مفيدًا في كتابه «حول طبيعة الظلال» كما أحب أن يسمي كتابه. وقد سجل سبقًا كذلك، حين جرب آلة تصوير ذات ثقب واحد، وهو نموذج لأقدم آلة تصوير ذهبه على انتشار الأشعة الضوئية المستقيمة، وقلما كان يطمس إلى نظره. وقدمت به للعالم مقلوبًا من خلال انعكاس الصور، وفي هذا الصدد استخدم نفس الترتيب الذي لابد وأن كان استخدمه ليوناردو



دقيقة فيما بعد وقد عثر على تعيين الانكسار للضوء الذي يحدث عن طريق الوسائط كالهواء والماء والزجاج وحسب من بعدها زيغ بغلاف الجوي لأرضي بما مقداره (١٥) كما بين، وهو أمر بدعو إلى الدهشة و عمق التفكير في نشوء هذه القمر والشفق وقوس قزح و بين فشل أرسطوطاليس في إعطاء تفسير لظاهرة من ذي قبل و سلط معرفته كذلك على الأجهزة البصرية

لقد أثر الكندي (١٨٥ – ٢٦٠هـ – ٧٩٦ – ٨٧٣م) في الغرب (٩) معرفة البوب بتجاربه على المرآة المحرقة. أما ابن الهيثم فقد درس الانعكاس وحسبه في المرآة المحرقة (كروية ومقطع مخروطي)، وعثر على قوانين تأثير تكتشف. ولقد فحص تأثير الاحتراق وتصحيحه بواسطة المرآة المجوفة فقط. بل وبواسطة العدسة المجمعة المكبرة بعد. وتذكر كذلك أن عدد للمصنعة وقد برهن على معرفته الهائلة كمسطر ومجرب في التجارب التي أجراها على سير الأشعة داخل كرة. وهي تجارب مالبثت أن وصل نفعها بعقله عظيم به كمان لدين – من بعده بثلاثمائة سنة

إن تأثير هؤلاء بمخالفة العرب على الغرب تأثير هائل. لقد ظلت مطوياته مغربية البصرية على العلوم الأوروبية حتى عصر الحديث. وعلى العلوم العصرية لابن الهيثم قامت كل تصورات الإنجليزي روجر بيكون (١٢١١ – ١٢٩٤م)

حتى بولوب (فنلو) والإيطالي ليوناردو دافنشي (١٤٥٢ ١٥١٩م) وحتى يوم هذا. صارت المسألة الفيزيائية الحسابية المعقدة التي حلها ابن الهيثم المعدودة من المدرجة الرابعة، والتي تقتضي مقدرة الكرى في تجبر على النحو الآتي تقريبا حساب نقطة في مرآة بها شكل فيه يُعكس عليها جسم من مسافة محددة في صورة معينة مراتب تلك المسألة. تسمى باسمه (مسألة الحزم) »

***

* «إن مؤلف ابن سينا في الاستعادات وهو الذي ذاع صيته كطبيب ورياضي وفيلسوف كان مصدرا رئيسا للجيولوجيا لأوروبة حتى القرن (١٨)»

* «و يشعب العربي لدي أحب الجوال، قد أنجب قبل ماركوبولو (١٢٥٤ ١٣٢٣م) عددا لا يحصى من الجغرافيين. منهم الإدريسي (٤٩٣ ٥٦١هـ ١١٠٠ ١١٦٦م) من سبته الذي وصل إلى سواحل إنجلترا الغربية والبحر الأسود في القرن (١٢)، ووصف في بالرمو فيضا من الملاحظات ومخططات الخرائط والمقاسات الحسابية في مؤلف جامع يقع في سبعين خريطة، استغرق إعداده خمس عشرة سنة، كان يشاهد ككرة على الأرض ويجري تقسيما بها وفي عام (١١٥٤م) قدم أطلس ليورب في صفحته خريطة للأرض دقيقة صحت من بعد شهيرة صفحة من الفضة. حدث ذلك فيما

كانت خرائط العالم في ذروة أوروبا توضع بحسب لإنجيل، يطوف فيه لبحر المحيط، ويقع لجنة في مشرقه

والمسعودي (٣٣٤هـ ٩٣٦م) من بغداد لدى حمله مسائل علمية جديدة علي لقدم برحلته لاسكندرية. ولدى كتب سندباد بحري مشاهدات خرجه في بلاد الصين وسيلان وحتى سيبيريا موسوعة في ملابس محمد ارتقها بوصف للأرض، وبوصف مصور صحيح بعادات شعوب

وابن بطوطه (٧٠٣ ٧٨٠هـ ١٣٠٤ ١٣٧٨م) الذي استمرت رحلته مدة أربعا وعشرين سنة كشف فيه شمالي ووسط أفريقيا حتى البحر، وسيبيريا، والصين، وروسيا، وإسبانيا [٢٥]

***

* لقد أصبحت مصادر الإغريقية العربية هي أنف بها لعلم وارتفع الاسم العربي في ذلك الوقت الى درجة أنه لكي يفسح الأطباء والكيماويون والصيادلة والفلاسفة الطريق أمام بحوثهم الفكري في الاوساط المتخصصة، كانوا يطلعون على الاسم عربي للاتيني لابن سينا ومسويه لابن وجابر، بحيث تعمل على شد اهتمام المتعلمين، ولقد ظلت بكتب بمدرسيه ككتاب القانون لابن سينا من المواد المدرسية الراسخة في الجامعات الأوروبية حتى النصف الثاني من القرن (١٧)

٢٥ العقيدة والمعرفة ص١٤٠، ١٤٢، ١٥١، ١٥٠

* ومن يدري ما إذا كان كولومبس (١٤٥١ - ١٥٠٦م) قد اعتمد في مغامرته على الخريطة العربية الأقصى في نظره؟

* إن العرب سبق واستعملوا البوصلة بالسفينة في البحر الواسع، وأقدم وثيقة في هذا الصدد ترجع إلى سنة (٨٥٤م) إذ أصبح تعيين جهات الأسود بحيث لم يستدل بالنجم على الاتجاه، عرفت إبرة في قشة أو ساق تحلقها، ووضعت فوق سطح الماء، وحركت بواسطة حجر مغناطيسي نحو الشمال بحيث إنها تتجه لدى إفلاتها المفاجئ إلى وضع يظهر الشمال والجنوب. وقد جرت العادة في المحيط الهندي على أن يستبدل بالإبرة ولهنة قطعة من الصفيح لها شكل السمكة تظهر بالزئبق والذنب إثر توجيهه وهي مفاجئ باتجاه السماء.

* وفي الكتب العربية شيء وجود أسلحة متفجرة. البارود المتحركة المحترقة التي تخرج ورا نها دمدمة مثل الرعود.

وقد استخدمها العرب في ضغط صد حشد ملك فرنسا بوشيج (١٢٤٩م) وكان ملك مصيح كلما انطلقت قذيفة عريري السميح، حمى يا رتوعي!. وفي سنوات (١٣٢٥م و١٣٣١م و١٣٤٢م) استعمل العرب مدافع البارود في إسبانيا لمكثر من الفرق جيوش الشمال الإسباني المدعمة من قبل الفرنسيين والإنجليز.

* ولقد كانت معاهد عربية مراكز تعليمية، ومؤسسات معلقة مقسمة إلى أربع كليات، وعلى رأس كل واحدة منها عميد، ويكون كليه عدد متماثل من الطلبة هو (٧٢)، وهكذا (٨٢)، ومن المسجح لمدرسة، لا حصص لدراسة بلا مقابل مادي وكان المدرسون يتقاضون مكافآت من الخلفاء أو الموقوفين، هذا في الوقت الذي كان يتقاضى فيه كل طالب دينار واحد في الشهر بالإضافة إلى الفرص بيه اللازمة

وكان الطلاب الوافدون من جميع الجهات، والمنتمون على العموم إلى ديانات مختلفة، يكونون أربع فئات قومية في مساكن منفصل بعضها عن البعض الآخر

وفي مدارس الأندلس، سمح أيضا للفرصة بالمدرسة وصممت الأبنية المشيدة على شكل مربعات بالإضافة له حدائق وخدمات وفضلا عن ذلك قد كانت تحتوي على عدة قاعات للمحاضرات وصالات للعمل ومكتبة كبرى. وبها تلحق هذه وهذا المعاهد خاصة ويمنح العميد المرشح بعد إجراء امتحان له إجازة في التعليم وبذلك يحصلون على البكالوريا كلمة عربية أدخلت إلى اللاتينية على أنها بروى المحرر من السلطة بمعنى شخص حر

والصلة كذلك بالنسبة لغوب العربية هذه لم تكن سوى نسخة عن العربية الأصل"

* «لقد أرسل فريدريك الأول ملك بروسيا (١٦٥٧ - ١٧١٣م) جرهردفون كريموف إلى صقلية وجلب المحاربون الصليبيون والحجاج الحروب والمعارف العلمية، والتحف الكيميائية المفيدة والأجهزة والمستوردات عبر جلب الأسرى المسحات الوفيرة عقول العسكريين الموهوبين العرب وكذلك الساعات وأجهزة القياسات من جميع الأنواع والرافعات ومولدات الطاقة، والعدسات والعدسات الكبيرة وغيرها من المصنوعات فضلاً عن المصادر الفلكية والمعدات الطبية. والمعدات المساعدة للكيمياء التطبيقية هذا هي التي في متحف قرية مواد وفيرة للبحث لا يمكن تجاهلها. وقدمت محصلات ووسائل بصورة واضحة دقة مؤلفات جميعها، وتركت تأثيرها الرائع في حياة جديدة. فأقبل الأوروبيون بحماس على المادة العلمية الجديدة. وأصبح من المعلوم عليهم أن لا يملي عليهم الأمور من فوق إملاء. لقد صادفت بدأ العقلية المتقدمة من العالم الآخر العربي، استعداد داخلي وهنا وهناك فقط وجدت التربة الموائمة المناسبة للمشروع»

* «لقد هاجرت قواس المساجد الإسلامية إلى الكنائس القوطية في ستراسبورج وكولونيا وسالزبوري»

* ومن أكبر نجاحات العرب في حقل الكيمياء شهادات عدد لا يحصى من المصطلحات المستعملة حتى وقتنا الحاضر، سقطت إلى لغات أهل الأرض من المفردات العربية وعلى

راسها تأتي كلمة كيمياء والأمبيق، والكحول والبرس، وسيوركس، ودروجري، وتكسير، وفاليوم وبطرون، وصود، وبلكرم، وشلاف الخ

ويصل منهجهم العلمية طورو ... سندا إلى رأي المؤرخ الإنجليزي كاستوم Custom كيمياء حتى هذا المستوى، بحيث إن اكتشاف الكيمياء عصوبة كانت مضطرة أن تعيدها إلى المستوى الذي رفعها فيه العرب "

* لقد أثرت العلوم التجريبية العربية تأثيرا شديدا من مجرد نوع سوارة انطلاق لحظة حضرة للعقل الأوروبي.

لقد أمدت الاستعداد الموجود في الغرب بمادة ممتعة للمعرفة، ويقظت الاستعداد للعقلية التي كانت تعط في سبات عميق وأطلقت العنان للقوى التي كانت الأسر محجمة، ووضعت التطور العلمي العقلي الأوروبي في المسار الصحيح "[20]

***

[20] العقيدة والمعرفة ص ١٨٥، ١٤٩، ١٧٣، ٢٢٧، ١٨٣، ١٨٤، ١٨٨، ١٩٠، ١٣٨، ١٣٩، ١٣، ١٩١.

(٨)

انتصار الفكر الاوروبى على النظرة اليونانية والمسيحية للطبيعة

* وبعد قرون من التنقل في أرجاء الطبيعة، والتمرغ في
وحدة الإحساس بالذات، بدأت الرهبة بالإعجاب، وتفتحت
الأزهار في الشعر إلا مؤذنة بشمس الصعداء بالإعجاب من
معجزات الخلق وفي مفتتح الصدق من مروضة الإلهية البدية
وبعض أحسابها من نجده لدى فريدريك روسرتج وفرانسيسكو فون
زيري وغيرهم كثيرون كما أن سلوب الكتابة لدى الفلاسفة
الذين تتسمو عن الروحية مبدأ الحب هي الأخرى في التفتح
والانفراج، وتحول الروحية إلى قوة، وعرفت مؤلفاته دون
وروب كلها

* بعد أصلو، ديهرد قوب بث (١٠٩٠ - ١١٦٠م) رقرب
من عمقه بعد رحلته في العالم الإسلامي وعودته إلى وطنه
بريستول فكتب في رسالته رأسته إلي الطبيعة ، مقربا بين
موقفين من الطبيعة

"إننا نبهون ونقصر في فهم سر هذا الكون الرائعة،
وجماله وجلاله البديع الحكيم، ونحن نعيش فيه، فإننا نستحق
كل الاستحقاق أن نطرد منه طردا لأننا نكون أشبه بالضيف
الجاهل حرمة البيت وكرامة الذي جاء به المضيف

لقد سبح بي أن نعمل نسف من الأسدة أعرب الحكماء عن الأسيد بعقل. لم أسب فإنك تسع صوره فرصتها عيث هيمنه سيدة كانت معيد إلى رس محرود ممودث.. لا فلتعلمن أن لماسيه لسي بأ حد بأرمنهم إلى أنه وجهة، بما لا تستطيع أن نمر و سبين بى أبن ولماد نقد، ولا ستملك إلا أن سيع أمره لدي موثقيها. كدنت إذ «سلطة المؤلف» تعود عدد لس بابيسير مكم فأسم أسره لمكبوب مقادس له كالموت سرعة تصدفكم لحبواسه»

* «وبعد عمل «سفولاس فوب كويس (١٤٠١ ١٤٦٤م) على رفض وتعويض كمل الصورة لوبية و الإحمية سطحة بعلم. تلك التي كانت سائدة ومصونة من غير نقاش، والتي أعارها سس د بهم مد ألفي سنه. لقد أرح نقدره عن لعالم لدي كل سطر ايه على أنه شرير وضيع مموت مدعه للأرد و نتشت. وحتى الموت ولعدد لم يعود مؤشرين على لنقص رسم بعد الأرض أحد و سفر نقطه في بتدعى السيوي المعالي. لقد أزاح «بيمولاس فوب كويس» هذا لركام عن العالم لدي حرثه بيوتيبوب والإنجيل إلى شدرت، وتلقفه بسبب بعرب في تلك نصورة عن طريقة لتعميم بكائسي»

* وبالنسبة ليوناردو دافنشي (١٤٥٢ ١٥١٩م) فمن أي معنى ب ترى بهن هذا مفكر نقف أبطر المتعدد المواهب يشكل حدث عدميث».

ب طـعه لديه بسط للربوبيه لـي تسع لكل شيء
وهي في كل سيء بصـ ب هذا هو صيغه سر لاشياء، وبفصل
لحضور لإلهي هد فقد أضحى ذلك ممكـ للإنسـ أيضا ألا
وهو التعرف على لصنعة الإلهية بحية..

وفي سصريـت. كمـ في لريـضيـت سـد بيونارد دافنشي
على سوئفات نعرسه سبيره لابن الهيثم لموجوده في
فلورنسا وعلى نظريته في لانعكس بصري، ونجاربه على
عدسة لعين و بعدسـت محكروه، وبـكامير ذ ت ثقب

وفي علم صـعـب لأرض كـ لعسه بن سيب قد سبقه إلى
كـسـف تشكل تربه. ولم يـوقف عند لتجربه وحدها، بل
عبرها سـس لكل معرفه يجب أن ينطلق من نجربه لكي
تنقضي لقـبول»

ورفض كذلك القول بنفاهة لعلم وعزله لحلو الأبديه»

* «ولقد كـب كل من جاليلي (١٥٦٤ ١٦٤٢م)، وبلانك
(١٨٥٨ ١٩٤٧م) على دربه بأن نكون يجاوز وبلا حدود
قوة إدراك بصرب ليه وفهمه به

ونحدي للعوب برائع لدى قدمه لمنطر يمكي، فقد درس
جيبي لإحصه مديـة نابعلم بحيث ريضي مفيد لماخس
لاحسب الرياضي بحقيقه، وبلاستعناء عن كل تحديد للجوهر

ان لمتعرف عليه هو حقيقه، يقوم على لمطلق لـدي لا
سس . ى إدركه بد و بعلم الطبيعي هـ على دربه بحدوده

وبالاعتراف بحدود التعرف لبشري هذ وتعود فكرة (تجهل لدري) للفيلسوف «ارلوجت ، و«كوسو» على عرار حدث حدود معرفة لعقل لفيلسوف كنت» ، ١٧٤٢ ١٨٠٤م) و«حوليه» (١٧٤٩ ١٨٣٢م) وبمعرفه حول محدوديه لحقيقه . يطوق العقل الأوروبي وفي كل أرجاء بنفس كي يعرف معا لى الوجود بحقيقي لشيء بدي من سبيل إلى معرفه .بي كشفه . فيه . المنصص في كل ما يسمى معرفه

إن سكسف الطبيعه ثم يعد بالنسبه للإنسان الأوروبي الموجه توحيدا وكلية (شموليه) بعد رمز معنه عقبه سبيلا للاعتراف عن الله ، لا للاعتراف وبه وعلى لدوام طريقها نحو ما هو مجهول ، نحو لربوبية

ومن لمعروف . مما يتفق تماما مع توجيهات بلانت وأينشتاين (١٨٧٩ ١٩٥٥م) قبل وفاته بوقت قصير

انه لإحساس الأعمق والأروع ، لدي نحس عيه قادرون منه وحده بنت لعلم لصحيح ، ومن كل هذ الإحساس غريب عنه ، هو الذي لا يستطيع بعد أن يعجب ، وأن يفرط في خشيته ، فهو لدي يُعد ميتا روحيا : بد للمعرفه أن يوجد بحق ما هو غير مكتشف ، وأن يتجلى بصفته أسمى حقيقة وأسطع جمالا لشيئين بدين لا يتسنى لنا فهمهما سوى عم ضبابي وهذه لمعرفة وهذ بحمه هما جوهر لتدين لحق

* «إن الطبيعة، الذي حاليلي، ليست قابلة للتجربة. تعرف للحساب فقط، بل هي بص قبلة للاستعمال، والتسيير والإفادة

إن كتاب الطبيعة الذي هو في ذات الوقت كلمة الله دون تعبير و بسط للألوهية، مكتوب بحروف رياضية. وفي سائر صور هذه شخصي برسوبة توضح صورها و سدها إدراكا. وبنظام الرياضي السائد. الذي يرى الباحث الطبيعي نفسه ملزما بقراءته»

* «وقد قال «جوردانو برونو» (١٥٤٨ - ١٦٠٠م) الذي عومل كمنشق عن المسيحية وملحد و الذي قضى سبع سنوات في السجون بعد الحكم محاكم التفتيش بعد قال

إن يبحث عن الله في القانون الطبيعي الثابت عبر المستقر وفي الوحدات المفعمة بالحيوية، ويبحث عنه في سطوع الشمس، وفي جمال الأشياء التي تنطلق من حضن مدعاة الأم الأبنائها، وفي صلابة الحدود (صنعه) التي لا تحصى، التي تتلألأ في جسمة السماء ولا تهتز»

* وقد اعتبر «روجر بيكون» (١٢١١ - ١٢٩٤م) دراسة اللغات اليونانية والعربية و العبرية أمر لا مناص منه من أجل تفهم أفضل للإنجيل المعلوم. ومن أجل دلالة الفلط وترجمات أرسطوطاليس وسائر علماء المسلمين، واعتبر رؤساء الصائفة

مر بفي لملحد الموردي للسلطات بمقدسة عشر سنوات من أكسفورد إلى باريس وصدر عليه بحكم بالسجن سنة (١٢٧٨م) ثم بالسجن المؤبد، إلى أن حرره الموت سنة (١٢٩٤م)، بعد خمس عشرة سنة قضاها في السجن

* «أما سيجر» من برابانت الذي رفع رايه بن رشد (٥٢٠ - ٥٩٥هـ ١١٢٦ - ١١٩٨م) في الحقيقة المزدوجة والذي تصدى للحكم الصادر ضده بشجاعة، واستنجد بالبابا، فقد قضي الـ(١٥) سنة المتبقية من عمره في سجن ليبا، ومات فيه محبوساً

* «إن كبلر» (١٥٧١ - ١٦٣٠م) هو الشخص الذي كان بمثابة الحربة الفنية والشجاعة للإطاحة بالعقيدة اليونانية لأرسطية حول مسار النجوم الدائري الذي أدى إلى إعاقة شديدة، على النحو الذي الإطاحة الذي اقترب به المفكرون العرب في القرن (١١)»

* «وبه لنا الحظا بكلمات الفيلسوف الماني كانت» (١٧٤٢ - ١٨٠٤م) ساء حكم عام أن يعتقد بأن العلم الطبيعي المعتمد، كشرط أو نتيجة محتمة، إطلاق المادة، ومملكة الحياة الإنسانية، وداع لله من هذا العالم وداع لا لقاء بعده؛ إذ على العكس، فقد كان ممكنا فوق أرضيته حكمة دينية جديدة لحقيقة الموقف وتحدد موقف من المادة تبرع به الشوائب التي ما زالت عالقة بها من قبل «توما الأكويني» (١٢٢٥

١٢٧٤م)، لن يرتفع بها إلى مرتبة البرهان التي يتطور، مدرك. يمكن التعرف إليه كسبب لكل ما هو صغير وكبير لكل ما فيه حياة وما ليس فيه. ولكن القوى المؤثرة الموجودة في الطبيعة والنظام الداخلي والعدد والوحدة الداخلية سيكون كله هي الترصيه الأصلية لكل معرفة علمية في الفهم الأوروبي

*يقول «آرثر ستانلي إدنجتون» (١٨٨٢ ١٩٤٦م)

«إن الفيزياء الحديثة تقودنا بالضرورة إلى الله، ولا تبعدنا عنه. ولم يكن أي مخترع للإلحاد عالماً طبيعياً، بل كانوا جميعاً فلاسفة، أنصاف مختصين جداً»

*ويقول «ألبرت أينشتاين» (١٨٧٩ ١٩٥٥م)

«على كل باحث طبيعي متعمق أن يكون على مقربة من نوع ما من الشعور الديني؛ لأنه قد لا يستطيع أن يتصور أن كل الصلات الدقيقة النادرة التي يبحثها قد صدرت عنه لدى الأمر. ففي الكون المبهم يتجلى فهم أن بغير حدود. إن التصور الجاري القائل بأني ملحد ينطوي على خطأ جسيم، من يستخلصه من نظرياتي العلمية، فقلما يكون قد أدرك غاياتها

*ويعد العرباني «هيزنبرج» (١٩٠١ ١٩٧٦م)

[illegible] في مركزه، وينظم سير الأشياء، وكل المستحدثات، كما [illegible] في الظواهر الطبيعية المحسوسة، التي يسهل للإنسان من ملاحظتها،

والدي لا سمكه لست في حقيقتها هـ كمن لنطق بين لعقيده و لمعرفه

بقد كتب هيوسرح» أصـ ـ نصسم لمردوج. حسب سصور أرسطوطيسي كـ بحو حصيه سيطبيه انه يودي من حلال لتكو ن اسصل لي عوصى فقط. عيو ن لإمكـ به شة لـي بورت الى لسطح بو سطه سطريه لتكميه الكمـة . سمكن ن تكوب مغمرة، وأن سمه ناسكر , في حيز العسم لحقيقي»

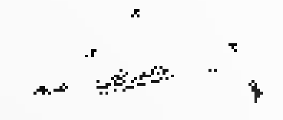
* «ـ معلم لطبيعي لاروبي كـ ن ممكـا فقط على رصبه بحاد تفسير ذبي حر للطبيعة. وعلى سمفهوم لإلهي لمعرى بماده سي لا كمـ نقول يوما لأكويني عنها انها مصـ به بكل ه يحطر على لب من شو ــ مـ هي سامه للاسـط الإلهي بمصور , بمحسوس، بدي يحقق وحدته ويسحم في سي شور ويحسـم وسحمع شحد طلاقا منها سوحد»[٢]

***

* «إنها حقيقة لاعتقاد بان في مقدور لعـم معرفة كل سيء، وطريه للحقيقه على أنها الكل في نكل وتدث عن احقيقه كلها وحميعها. ـ يعرف بيها هو، ويمكن صعها بالمقيه كملة، هي تلك سمحاوت والعمر و بعد م العلة ولامل،

---

(٢٧) بعقيدة و معرفه ص٦٠ ٨٦ ٨٧ ٧٤ ٢٠٨ ٢١١ ٢٤٩ ٢٥١ ٢٥٢ ٢٣١ ٢٢٥ ٢١٧ ١٠٨ ١٧٩ ١٩٣ ٢١٩ ٢٣٢ ،٢٣٣ ٢٤٢ ٢٤٣ ٢٠١ ٢٤٠ ٢٠٦



ولاستسلام والعدوانيه، والمعاناة، والعنف اليومي، كلها جميعا من حربرة تحت الخديعة.

ان تفكر انساني نفسه لا يصبح سد وقعه إلا إذا توحد في ضوء اللامتناهي، إن العلم لا يدرك دائما سوى جزء من الحقيقة والصورة العلمية وإن كانت مصيبة حقا، فإنها مع ذلك صورة معوية لا تصرف سطر فقط عن الوعيات والصلات د ب لصفه عبر لسببيه كتعرف لي تحدة والموت لبداية او نهايتها، حل وعن الإلمام بالشروط المسبقة الخاصة بها

وحيث إنه لا يعدو حول هذه الأمور دوما إلا بعض وجوه الحقيقة تكلية بحسب موقع المشاهد، ووفق سؤاله، للسبب الآتي فقط لأنه كنتيجة تبرير لمجالات الخاصة دوما، فقد تبقى على قراءات عريضة تتحملها، وحتى ما قدم منها بشكل غير مباشر دون تبرير

بعد ملك الضوء، يحيب أن من كان قبلا سلإدرك ساحب للحقيقه الموضوعية. فهم عن العالم صورة واهية ضحلة، يستلزم بالضرورة فهما غريبا، في سائر مناحي الحياة

لقد نظر الى العقل بمثابة الآلة الوحيدة التي يحتاج الإنسان فيها، و بمناسبة له تسديد ما يفعل ويترك، وللتغلب على المستجدات التكنولوجية لاحدة في تعقيد.

اه الأسر في سي المفكر لتاني نعدمو. ستطار لإنسان في حسب منطرقه، هو الذي أخذ في عمر لازمه. وفي شهادة

ويولر ب لذي يعيشه نشأ في لأصر عن شق عصف لطاعة سي حد في لم ير بد صد لإله لمسيحي سي أصبح عنر حدير بالاعتقاد، كما شخص «بيسه» (١٨٤٤ - ١٩٠٠م)، دمث من خلال مستحب لاحرة. تي حرد من فيمها كذلك من لدن المنورين، والات يحقف بعد لشيبة من كل سكل [٢٨]

***

٢٨) معيبا ومعرفه ص ٢٤٦ ٢٤٨ ٢٤٥

(٩)

اصول النهوض الاسلامي

* «عندما تحررت البلاد العربية من نير الاستعمار لدى جيلها وقفت قوى ألفت نفسها على خلافها تواجه متطلبات العصر الحديث، وجدت تسلك سبلاً مختلفة كي تشق طريقها إلى العالم الحديث لتصنع لنفسها مكاناً فيه. والآخذ بأسلوب حياة المستعمرين وحضارتهم بقسوة، وإذ يحتذون سيرة السادة للآخذين بحياتهم الساحرة وطريقتهم في العيش والتفكير، وعاداتهم. وما حققوه من منجزات مادية ومثل خلافية. وهكذا الأوربيون كالأوربيين، ويتأمركون كالأمريكيين، ويتروسون كالروسيين.

على أن هذا الخطر الجديد، الذي بات يهدد الاستقلال الحقيقي بعد التحرر الخارجي، قد عبأ القوى على خلاف تجاربها في المعارضة في ماضيها مع الاستعمار وشدة عداوتها وعلت رفضها أن تكون مجرد تقليد أعمى للمدنية الحديثة الغربية.

إن تلك «الأصول» و«الجذور» التي يبني على العالم العربي أن يجدد ويتعهد حتى يشق طريقه إلى الأمام». والتي ذكرتها في كثير من محاضراتي في المغرب العربي كله، هي:

١ - اللغة العربية: فهي المصدر الرئيسي الذي عليه الفكر الذاتي للمغرب

٢ - تبني بصفته المحور الذي يدور حوله وجودهم، في كل ما يتعلق بأمورهم وتعني بذلك الإسلام السمح من العصر عبر الإسلامية المنفتح على العالم الذي لا يعارض التطور العقلي

٣ - والعودة الوعي، والرجوع إلى الهوية الذاتية التي تتصب

التعصب عن الماضي الفكري المدفون تحت الأنقاض تمام، واستيعاب سيات النبوية، والكيفية والكيفية التي تفهمه وتقديره، والخروج بالعبر والدروس اللازمة للانطلاق للمستقبل. فالعرب انطلقوا من قبل أكثر من أمته وكثير ذلك وسط حضارات تفوقهم فلم يترددوا في الأخذ عن وبعث العرب، بل رأوه ضرورة سفينتهم، دون أن يحتكروا محاكاة عمياء ثم وصلوا فوقه البناء بطريقتهم الخاصة وبالوسائل التي أتاحت لهم نبوغهم للمبرر وصاحب هذا تطويرهم لأساليبهم الخاصة بهم، وهكذا غدوا أكفاء لحمل أمانة فكري جديد فهم من المرحلة الأولى... منهم

فالتعلم من الماضي لبناء المستقبل حق مفروض ورفض عمق التقوقع والانغلاق وعلو الانفتاح المطلق بلا قيد ولا شرط، المؤدي إلى الاغتراب هو شرط للتحرر من الانحسار بجهة واحدة الأمر الذي يتهدد الحياة

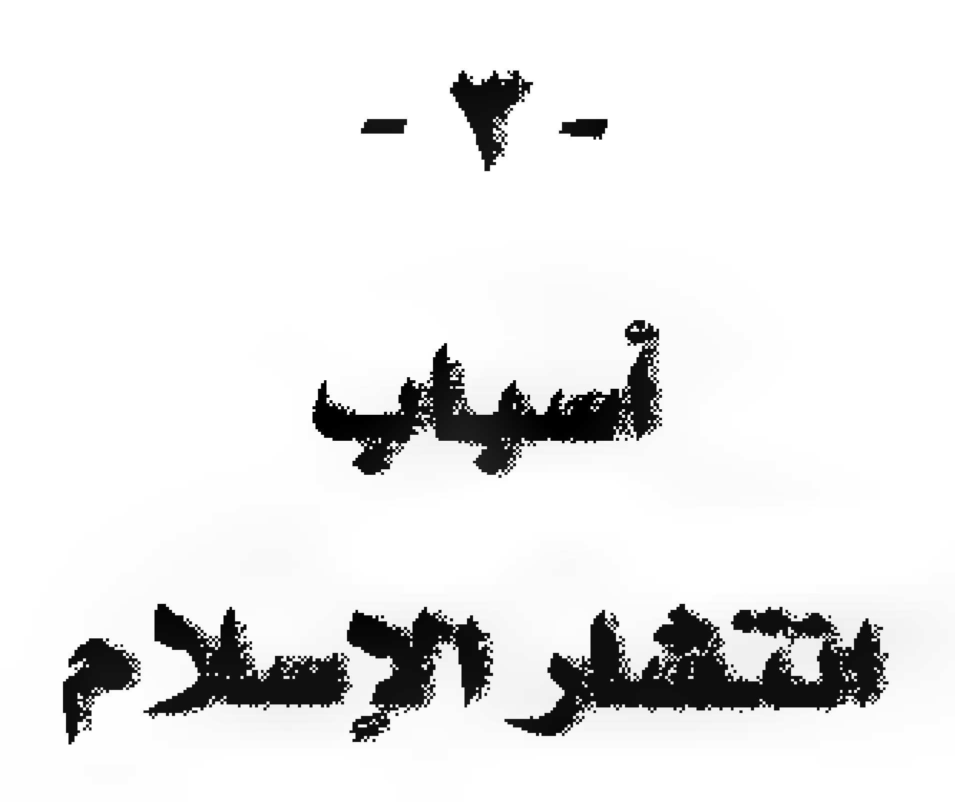
لقد أعقب المرحلة الأولى التي تمت الاستقلال، والتي

اتسمت على جميع المستويات بتحديها لأنماط غربية أو أيديولوجية أوروبية قدوة لها تسكن المستورد. وسرعان ما تمخض ذلك عن عدم الثقة بكل ما هو غريب دخيل، ورفضه، وتخصيصه [illegible] الغرب. وقد ارتبط بإحياء الإسلام والرجوع إليه

إن الإسلام هو ولا شك أعظم ديانة على ظهر الأرض سماحة وإنصافاً، نقولها بلا تحيز ودون أن نسمح للأحكام الظالمة بأن تلطخه بالسواد، ولذا فإن تحجب هذه المعطيات التاريخية الآثمة في حقه ونجهل ... له، فإن علينا أن نعمل هذا التزييف والتصديق مع صمت حقه في أن يكون كما هو».

***

(*) الله ليس كذلك، ص ٩٥، ٩٦، ١٠١.



- ٣ -

أسباب انتشار الإسلام

مقدمة

لقد صدق الله العظيم، عندما قال في قرآنه الكريم ﴿لَيْسُوا سَوَاءً﴾ (آل عمران ١١٣) لتعمم سنن الله التي تكشف الفروق والمميزات في مواقف الآخرين، والتي لا تعمم الأحكام فتظلم المنصفين والمجتهدين عندما تضعهم في سلة واحدة مع المغرضين والمسرفين.

فالغرب ليس كتلة واحدة صماء.. وهو لا يمكن اختزاله في المشروع الهيمنة الإمبريالية، والاحتلال والاستغلال، الذي نصب الإسلام العداء منذ ظهور الإسلام، ولا يزال ينصبه العداء حتى هذه اللحظات.. والذي حاول ويحاول، طوال ذلك التاريخ، إعادة اختطاف الشرق من الإسلام وأمته وحضارته.

ورغم أن صناعة القرارات، والممارسات التي عانى منها الشرق الإسلامي، ولا يزال يعاني منها حتى الآن، هي بيد قوى الهيمنة الغربية وتوجهاتها الفكرية والدينية وبيد المؤسسات السياسية والاقتصادية والإعلامية والكنسية المعبرة عن هذه القوى والتوجهات تلك التي تمسخ وتشوه صورة الشرق الإسلامي في عقول ووجدانات جماهير الشعوب الغربية ذاتها، لتبرر مشاريع الهيمنة الإمبريالية على الشرق في وعي هذه الجماهير، وصولاً إلى كسب تأييد هذه الجماهير للمقاصد الإمبريالية الغربية في إعادة اختطاف الشرق وحرمان أهله من حقهم الفطري في الحرية والاستقلال وتقرير المصير.

رغم هذه الحقيقة التي قامت عليها الشواهد الكثيرة
فإن العدالة والإنصاف تدعونا إلى إبراز الوجه المشرق
للغرب الحضاري .. والذي تمثل في العلماء الغربيين، الذين
عبروا عن حقيقة الإنسان الغربي، وموضوعية العلم الغربي
وأنصع ما في الثقافة الغربية عندما درسوا الإسلام وحضارته
دراسة العلماء المحايدين، فأنصفوه وشهدوا له شهادات
صدق، تعلو فوق شحن المسلمين .. وتقدمها للإنسان
الغربي .. الذي ضلله الإعلام العدواني عندما شحن عقله
ووجدانه «ثقافة الكراهية السوداء» للإسلام والمسلمين
فليس لهذا الإنسان الغربي إن تدعونا إلى كلمة سواء
إلى أن نقرأ شهادات هؤلاء العلماء الغربيين العدول، العلمية
والموضوعية التي أنصفت الإسلام وأمته وحضارته

وإذا كان استقصاء هذه الشهادات الغربية يحتاج إلى
العديد من المجلدات فإننا نقف في هذا المقام عند
شهادات نفر متميز من العلماء الغربيين الذين يمثلون عمدًا
من أعمدة الثقافة الغربية، ومجددين في دراسة الحضارة العربية
والإسلامية جميعًا .. والذين كتبوا في الإسلام دراسات تعلم
منها علماء الإسلام أنفسهم .. وهي دراسات أحرى أن تعلم
منها الغربيون قبل المسلمين

شهادة العلامة
سير توماس أرنولد
(١٨٦٤ ١٩٣٠م)

يجيء في مقدمة العلماء الغربيين العالم الإنجليزي سير توماس أرنولد (١٨٦٤ - ١٩٣٠م) Arnoled, Sir Thomas صاحب الكتاب الفريد الذي درس مسيرة وسيرة الإسلام في العالم عبر التاريخ كتاب (الدعوة إلى الإسلام)

وعن هذا العالم الحجة، يقول المستشرق الإنجليزي البروفسور ألفريد جيوم Alfred Guillame رئيس دائرة الشرق الأدنى والأوسط لمعهد الدراسات الشرقية والأفريقية لجامعة لندن

"إنه من أعظم المستشرقين البريطانيين، تعلم في كمبردج، وقضى عدة سنوات (١٨٨٨ - ١٨٩٨م) في الهند أستاذا للفلسفة في كلية عليكرة الإسلامية وأستاذا للفلسفة في لاهور (١٨٩٨ - ١٩٠٤م) ومساعدا لأمين مكتبة ديوان الهند (١٩٠٤ - ١٩٠٩م) وهو أول من جلس على منبر الأستاذية في قسم الدراسات العربية في مدرسة اللغات الشرقية بلندن سنة (١٩٠٤م)، ثم اختير عميدا لها

ولقد ذاع صيته بكتابة «الدعوة إلى الإسلام» لندن سنة (١٨٩٦م) و«الخلافة Caliphate» أكسفورد سنة (١٩٢٤م). كما كتب دراسته الإجمالية عن الإسلام بعنوان «العقيدة الإسلامية The Islamic Faith» وكتابه العظيم عن التصوير في الإسلام «Painting in Islam» وهو صاحب فكرة كتاب «تراث الإسلام» والمشرف على تنسيقه وإخراجه.

وقد كتب فيما يتعلق بالعربية والفارسية إلى جانب إلمامه بمعظم اللغات الأوروبية مادة كثيرة لمفاتيح عالم العصور الوسطى وعالم العصر الحديث.

وقد خلت كتاباته من أية أغلاط، وحتى الهفوات لاحظها عليها المتخصصون من العربيين والمسلمين [29]

وإذا كانت هذه هي مكانة «الشاهد» سير توماس أرنولد فيكفي لي الإشارة إلى مكانة شهادته كتابه الدعوة إلى الإسلام لدى تقديمه شهادته للإسلام أن يقول فيه المستشرق الإنجليزي «ر. ا. نيكلسون» (١٨٦٨ - ١٩٤٥م) (R A Nicholson)

---

٢٩ (ر. ا. نيكلسون) تراث الإسلام ص١٩٨، ترجمة جرجيس فتح الله طبعة بيروت سنة (١٩٧٢م) ومقدمة طبعة ثانية لكتاب الدعوة إلى الإسلام ص١٥-١٧ ترجمة د. حسن إبراهيم حسن د. عبد المجيد عابدين إسماعيل النحراوي طبعة القاهرة سنة ١٩٧٠م

«إنه كتاب يفوق حد الوصف من كل ناحية، وهو مؤلف لا يمكن الاستغناء عنه. ويعد حجة ثبتة، وهو من أوله إلى آخره، برغم طابعه التاريخي ومنهجه العلمي، إنما هو حجة أرنولد أقامها على الجور والتعصب، وإن إرادة في الحقيقة حسبه من نوير حتى في هؤلاء الذين قد يظنون أن هذا الكتاب مصدر خطر عظيم بظروف بواعث الحماسة في نشر الدعوة الإسلامية ونتائجها، ترك نتيجة قاطعة تظهر من نشاط هذه الدعوة الإسلامية لم يحسبوا له حسابا. كما فعل أرنولد. إنه يستولي علينا الدهش كيف استطاع أرنولد أن يجمع وينقد هذا القدر الهائل من المواد المتنوعة التي تتعلق بالكتب والمراجع التي استخدمها في الطبعة الأولى من كتاب «الدعوة إلى الإسلام». وإن نظرة واحدة في المراجع التي اعتمد عليها المؤلف، تكفي لتتحقق قيمة الكتاب باعتباره مستودعا وصورة للحقائق التي تتعلق بموضوعه.

إنه كتاب زاخر بالحياة. وبينما نجده ينقلنا على التوالي من بلاد العرب إلى بلاد العربية وأفريقيه وإسبانيا وفارس والهند والصين والملايو. فإننا نحس من وراء صفحته الهادئة عمق الحجج المقنعة وقوتها. تلك الحجج التي تبعث فيه الحياة» (٣).

(٣) نيكلسون: مقدمة كتاب الدعوة إلى الإسلام ص١٦-١٧.

وبعد هذه الإشارة إلى مكانة الشاهد ومكانة شهادته، نقدم شهادة «سير توماس أرنولد» على زيف دعوى انتشار الإسلام بالسيف والعنف والحرب والإكراه تلك الدعاوى التي روج لها، ولا يزال، مشروع الهيمنة الغربية.

فيعني بالحقائق الموضوعية أن انتشار الإسلام إنما حدث بهذه الصورة المدهشة في سرعتها وقوتها، لسببين أساسيين:

أولهما: الضعف الذاتي والتمزق لدى أصحاب النصرانية والإفلاس الذي أصاب كنائسها المتناحرة أكثر من انتشار حملة ثقافة الهيمنة الغربية على النصرانية الشرقية، وما ثمرته من الانقسامات الحادة والتعصب للعداوة في صفوف المؤسسات الكنسية إبان مراحل الظهور والانتشار للإسلام.

وثانيهما: سماحة الإسلام وبساطته ومنطقه العقلاني والقوة الذاتية التي امتلكها وتميز بها هذا الدين عن غيره من الديانات.

كما يشهد «سير توماس أرنولد» ومعه كوكبة العلماء الغربيين الذين استشهد بدراساتهم على الحقيقة التي تمثل «مفارقة غريبة»: حقيقة انتشار النصرانية التي هي

ديانة الإسلام المتطرف، وبوصفه انتشر بالسيف والعنف والقهر والإكراه، بينما تم انتشار الإسلام الذي هو دين ودولة وعقيدة وشريعة بالسماحة، والدعوة التي تتوجه إلى العقول، وتجتذب القلوب.

يشهد العلامة «أرنولد» على هذه الحقائق الموضوعية والتاريخية، وما لنا في هذا المقام، إلا تقديم نصوصه الموثقة، التي نقدمها للقارئ العربي، الظالم للإسلام أو الجاهل بحقيقته، ليراجع موقفه من الإسلام.

كما نقدمها للقارئ المسلم، ليزداد يقينه بعظمة الإسلام وسمو سماحته، وليزداد عزمه على الدفاع عن الإسلام في مواجهة الحملة البربرية الظالمة لهذا الدين.

ونحن نقدم هذه الشهادة، شهادة «سير توماس أرنولد» تحت هذه العناوين:

١- حالة النصرانية إبان ظهور الإسلام.

٢- العوامل الذاتية لتفوق الإسلام، وسرعة انتشاره.

٣- سماحة الإسلام.

٤- نشر المسيحية بالعنف.

يشهد على ذلك كله العلامة «سير توماس أرنولد» فيقول:

(١)

حالة النصرانية إبان ظهور الإسلام

«لقد صادفت شريعة محمد ترحيبا لا مثيل له في العالم وإن الذين يتخيلون أنها انتشرت بحد السيف إنما ينخدعون انخداعا عظيما».

جورج سيل Sale G ١٦٩٧ - ١٧٣٦م) مترجم القرآن الكريم إلى الإنجليزية

العوامل التي ساعدت على نشر الإسلام

إن حالات المجتمع المسيحي نفسه قد جعلت الجهود التي تنطوي على الغيرة والحماسة الدينية في اكتساب مسلمين جدد أشد أثر وأعظم قيمة.

ويعد تدهور الكنيسة الإغريقية في مقدمة هذه الحالات جميعا، وإلى جانب طغيان الدولة البيزنطية في الشئون الرسمية. نشأ استبداد في الأمور الدينية جعل الحياة العقلية ترزح تحت عبء القرار الحاكم الذي حرم كل مناقشة في شئون الأخلاق والدين والشيء الوحيد الذي قضى مضاجعهم هو التحولات العنيفة التي أقامت حربا عوانا على الكنيسة اللاتينية مقرونة بكل ما في المناقشات الخطرة والكراهية العنصرية من شدة ومرارة. وتدهورت الديانة المسيحية فأصبحت

ر عى لمضاهر الحرجيه مر عده تقوم على كثير من الوهم و لريبه

ووجدت جمسة عبادتهم الدلعه متمثمس في عباده لعدر ء والقديسين و لصور والمخلفات لأثرية واصرف عدد كبير عن كنيسة تحطت حبابها تروحية إلى الحصيص وما ملوا منقشات لا نهاية لهي حول مسائل مذهبية عويصة. كـ لابتـ ق المردوج لروح القدس، وأخرى تافهة كاستحدد الخبر لخمير أو الفطير في قربان المقدس. فملوا بصدر رحب تعاليم لإسلام الواضحه المفهومه لتي تقوم على الوحدانيه وقد انتهت البنا أخبار عن طوائف كبيره من الناس اسلمو ، ولم يكونو بسطاء عامتهم فحسب، بل كانوا من العلماء على اختلاف طبقاتهم ومناصبهم وحالاتهم. و خبار عن لطريقة التي أجرى بها لأرناؤوط أروق سخى على هؤلاء لرهب والمساواة الدين اعتنقوا الإسلام حتى يكونوا قدوة قد تدفع غيرهم إلى اعتناق لإسلام

وبينما كانت «أدرنة» لا تزال لعاصمة التركية (أي قبل سنة ١٤٥٣م) كان البلاط قد اكتظ بالذين أسلموا. ويقال إنهم كانوا يؤلفون السواد الأعظم من أصحاب لجاه والسلطان هناك

وكثير من تجار الأمراء النصيريون وغيرهم إلى صفوف المسلمين ووجدوا فيهم ترحيبا كبير

وبعد سقوط القسطنطينية ظهرت لصدت بعدما من المجتمع المسيحي من الاستعداد لاعتناق الإسلام من نصوف بكثير ستعداد جمهرة اليونان

وفي الكنيسة الإفريقية أصبح الدين الإسلامي متمما الطبيعي لأفراد الكنيسة السرقية هؤلاء الذين حسو بمثال هذا الحس بعد أن عرفوا صورة من العقيدة أنقى وأسعد .[31]

فساد رجال الدين المسيحي كان من أسباب اعتناق الإسلام

وفي عهد صلاح الدين الأيوبي في مصر (٥٦٤ ٥٨٩ هـ ١١٦٩ ١١٩٣م) تمتع المسيحيون بالسعادة إلى حد كبير . في ظل ذلك الحاكم الذي عرف بالتسامح الديني ، فقد خففت الضرائب التي كانت فرضت عليهم وزال بعضها جملة وملئوا الوظائف العامة كوزراء وكتاب وصيارفة

وفي عهد خلفاء صلاح الدين نعموا بمثل هذا التسامح والرعاية قرابة قرن من الزمان ولم تكن هناك ما يشكون منه

(٣١) الدعوة إلى الإسلام ص ١٨٥ - ١٨٧)

الا من اعصف به كهنتهم انفسهم من افساد و لانحطط فقد فشت لسموسه [٣٢] سيهم، فيعت مناصب اعسسين، لدين تصفو بالحهل و لردية على حين حيل بين لدين صلو اسعيس وبين هذا لمنصب المقدس بعجرهم عن أداء الأمور لمطلوبه في احتقار وازدراء، مع انهم كانوا من لحديرين بشغل هذا المنصب وكان من أثر ذلك أن همل تثقيف اسس روحيا وخلقيا إهمالا تاما وبلغت الحالة لمسيحيه درجة محزنة من الانحلال كما بلغ من فساد لكنيسة أنه عند وفاة بوحنا الرابع و لسعين من بطارقه العقه في سنة (١٢١٦م) كان لابد من انسحاب حبقه به، وقدم نس محموعات لمتعددة لمتناحرة، التي نحت في إثارة حقوق لمرشحين لمتنافسين، نزاع عنيف استمر نحو عشرين سنة إلا أنه لم يكن من سبيل إلى إصلاح ذات لبين بين هذه لجماعات، فقد كان اهتمامهم طوال ذلك لوقت منصبا فيما يترتب على ذلك من نتائج محزنه ضارة، أقل من اهتمامهم بالمحافظة على روح لتحزب التي تنطوي على لعناد و إثارة الشقاق

[٣٢] سمية بي سيمون لسحر وحمرد محدونه لا تقدر من طريق نمس الى ترتيب تروحيه و كهنوتيه وبيع لاشياء لروحيه بالاسباب ماديه

وفي أكثر من مناسبة حاول السلطان الجالس على العرش ان يصلح بين هذه الفرق المتخاصمة، ورفض ما عرضت عليه رس صخمة بلغت ثلاثة الآلاف وخمسة الآلاف. بل عشرة الآلاف قطعة من العملة الذهبية ليغروه بان يكفل لهم اختيار احد المرشحين بالضغط واستعمال نفوذه الرسمي. بل لقد عرض عليهم هذا السلطان ان يتجاوز عن المطالبة بالرسوم التي اعتادوا ان يؤدوها اذا الطريق سدى لفور حدث الانتخاب. لو انهم طرحوا منازعاتهم ووصلوا الى شيء من الاتفاق ولكن هذه الجهود لم تحقق أي غرض من الأغراض وحلا في الوقت نفسه كثير من الأسقفيات. ولم يكن هناك من يحل محل الأساقفة والقسيسين الذين ماتوا في مدة الفترة

ومما يدل على أن تحول المسيحيين الى الاسلام لم يكن راجعا الى الاضطهاد. وما وقفنا عليه من الشواهد التاريخية الأصلية وهو انه في الوقت الذي شغر فيه كرسي البطريقية. تمتع المسيحيون بالحرية التامة في إقامة شعائرهم وسمح لهم بإعادة بناء كنائسهم بل بناء كنائس جديدة. وتحرروا من القيود التي حتمت عليهم ان يركبوا الحمير والبغال. وحوكموا في محاكمهم الخاصة على حين اعفي الرهبان من دفع الجزية، ومنحوا امتيازات معينة "[33]

(٣٣) الدعوة الى الإسلام (ص ١٢٨ - ١٣٠)

ان سرعة انتشار الإسلام في الأيام الأولى من الاحتلال العربي قد تكون راجعة إلى عجز الديانة الكاثوليكية المسيحية وعدم صلاحيتها للبقاء، أكثر من أن تكون راجعة إلى الجهود الظاهرة التي قام بها الفاتحون لحمل الأهليين على الإسلام ولأن الأساس اللاهوتي لمذهب اليعقوبيين[٣٤] ضعيف متناقض. والمستعمرين الذين جاهدوا في سبيل الاحتفاظ بها وقتًا طويلًا ودفعوا ثمنًا غاليًا في هذا السبيل، قد اجتمعت في عقائد كانت صعبتها شديدة تكون غامضة وبهمة من الناحية الميتافيزيقية ولا شك أن كثيرًا من هؤلاء قد تحولوا، وقد أحدث تحيرهم فيهم كل مأخذ، واستولى على نفوسهم الضجر والإعياء من مباحث الجدل المنطقية، كما حمد من حولهم إلى عقيدة تتلخص في وحدانية الله البسيطة الواضحة، ورسالة نبيه محمد بن عبد الله في داخل الكنيسة المصرية نفسها في عصر متأخر شواهد تنبئ عن حركة، ان لم تكن إسلامية خالصة، فقد كانت على الأقل وثيقة الصلة بها، وربما ساعد عدم وجود أي نظام كنسي مستقل، يجد طريقة لإيضاحه والتعبير عنه على زيادة الذين دخلوا في الإسلام[٣٥].

---

(٣٤) اليعقوبية فرقة مسيحية تنتسب إلى يعقوب وهي إحدى فرق ثلاث اختلفت حول طبيعة المسيح: اليعقوبية والملكانية والنسطورية، ويعتقد اليعقوبيون بالطبيعة الواحدة للمسيح أي أنه هو الله والإنسان معًا.

(٣٥) الدعوة إلى الإسلام، ص٢٢٥ - ٢٢٦.

ـ بطريقة الحياة المسيحية التي وحدت أقصى ما يمكن إدراكه والتعبير عنه في الفلسفة في أكبر صورة. فقد ... بدأت تظهر بعض الميل نحو الآداب الإسلامية الأكثر ... ويكثر عدد الأقباط الذين كانوا يعتنقون الإسلام من حين إلى حين أحد أتباع النبي (محمد) يعتبرونهم أشد ... الدين الإسلامي من أية طائفة أخرى.

ويظهر أن الأمية كانت متفشية في السواد الأعظم من رجال الدين المسيحي ... معظمهم لم يعرف كيف يكتب برغم ... بطريقة ... وكانوا على جانب كبير من الجهل ... المقدسة إلى حد أنهم لم يستطيعوا حتى إعادة صفحة القرآن عن ظهر قلب. وعلى الرغم من أنه كان من واجبهم أن يلموا بالقداس ... باللغة اللاتينية، كان هناك عدد قليل جداً يستطيع أن يدرك شيئاً منها. كما كانوا على جهل باللغة عدا لغتهم الأصلية. وكانوا لا يعرفون عن حقائق دينهم إلا معرفة عامة أخذوها بالتواتر [36].

إن الطبقة ... الذين كانوا يكونون السواد الأعظم من السكان المسيحيين، قد عوملوا معاملة ... من أتباع المذهب الأرثوذكسي التابعين للبلاط (البيزنطي) الذين

(٣٦) ... الإسلام (ص ٢١١ - ٢١٢).

ألقوا في قلوبهم بذور السخط والحنق بين ... بني جنسهم
اعتنائهم حتى اليوم . كان بعضهم يعذب ثم يلقى بهم في
اليم، وسيق كثير منهم بطريقهم إلى المنفى بعيداً عن أيدي
مضطهديهم ، وأخفى عدد كبير منهم عقائدهم الحقيقية،
وتظاهروا بقبول قرارات مجمع خلقدونية [٣٧] ، وقد قيل
إن جستنيان (٤٨٣-٥٦٥م) أمر بقتل مائتي ألف من
القبط في مدينة الإسكندرية، وأن اضطهادات خلفائه قد
حملت كثيرين على الالتجاء إلى الصحراء

وقد جلب الفتح الإسلامي إلى هؤلاء القبط حياة تقوم
على حرية الديانة التي لم يتمتعوا بها من قبل ذلك بقرون
من الزمان. وتظهر حالة القبط في الأيام الأولى من حكم
المسلمين كانت معتدلة نوعاً ما. وليس هناك شاهد من
الشواهد على أن ارتدادهم عن دينهم القديم ودخولهم في
الإسلام على نطاق واسع كان راجعاً إلى اضطهاد أو ضغط
يقوم على عدم التسامح من جانب حكامهم المحدثين، بل
لقد تحول كثير من هؤلاء القبط إلى الإسلام قبل أن يتم
الفتح، حين كانت الإسكندرية حاضرة مصر وقتئذ لا تزال
تقاوم الفاتحين، وسار كثير من القبط على نهج إخوانهم بعد
ذلك بسنين قليلة" [٣٨]

---

(٣٧) مجمع ... المسكوني الرابع سنة ٤٥١م، وهو الذي قرر عقيدة
الطبيعتين للمسيح وهي عقيدة الكاثوليك
(٣٨) الدعوة إلى الإسلام، ص١٢٣-١٢٤.

ويزعم كثير من علماء اللاهوت المسيحيين أن حالة الكنيسة الشرقية التي تدهورت في ذلك الوقت من الناحية الخلقية والروحية لا بد وأن تكون قد دفعت كثيرين إلى أن يلتمسوا جوا روحيا أسمى وأصح في ذلك الدين الإسلامي لدى جيرانهم وهو في أشد ما تكون الحماسة العصبية قوة وعنفا.

وعلى سبيل المثال، يتساءل «ملمن Dean Milman»: «لقد كانت حال العالم المسيحي في الأقاليم التي تعرضت لأولى غزوات الإسلام؟ كانت الأحزاب الدينية يعادي بعضها بعضا، ورجال الكنيسة يتنازعون فيما بينهم على أشد مسائل الدين إبهاما وأكثرها غموضا فيما يتعلق بما وراء الطبيعة في العقيدة الدينية. والأرثوذكس والنساطرة وأتباع أوطيخوس [29] واليعاقبة يضطهد بعضهم بعضا، وقد استحكمت بينهم العداوة التي لا تفتر ولا تنقطع. ولا نكون مبالغين في الحكم على مساوئ تحلل الدين إذا افترضنا أن كثيرين ربما فرحوا بوقوع خصومهم في إسار الكفر (يقصد المسلمين)، وإذا كان هذا أفضل عندهم من أن يجمع بينهم

---

(٢٩) أوطيخوس Eutyches (٣٨٨-٤٥٤م) هرطوقي [illegible] القسطنطينية، رأى [illegible] في المسيح (المونوفيزية)، فحرمه مجمع خلقيدونية سنة ٤٥١م.

وعرفت بفعل الانقسامات الداخلية، وتزعزعت قواعدها الأساسية، واستولى على رجالها اليأس والقنوط من مثل هذه الريب، ثم تعد المسيحية بعد ذلك قادرة على مقاومة إغراء هذا الدين الجديد الذي بدد بصرامة من ضرباته كل الشكوك الفقهية، وقدم مزايا مدنية جليلة إلى جانب مبادئه الواضحة البسيطة التي لا تقبل الجدل. وحينئذ ترك الشرق المسيح وارتمى في أحضان نبي بلاد العرب».

أضف إلى هذا قول «تايلور» Canon Taylor (١٧٥٣-١٨٢٤م)(٤٠): «إنه من اليسير أن ندرك لماذا انتشر (هذا الدين الجديد) بهذه السرعة في إفريقيا وآسيا. كان ثمة لاهوت في إفريقيا والشام قد استبدل بديانة المسيح عقائد ميتافيزيقية غامضة، ذلك أنهم حاولوا أن يحاربوا ما ساد هذا العصر من فساد بوضع فضل العزوبة في السماء وسمو العذرية إلى مرتبة الملائكة. فكان هجران العالم هو الطريق إلى القداسة والقذارة صفة لطهارة الرهبنة، وكان الناس في الواقع مشركين يعبدون زمرة من الشهداء والقديسين والملائكة، كما كانت الطبقات العليا مخنثة يشيع فيها

(٤٠) جون تايلور (١٧٥٣-١٨٢٤م): فيلسوف سياسي أمريكي، عرف بـ جون تايلور أوف كارولين، له مؤلفات تبحث في حقوق الحكومة والولايات.

الفساد، والطبقات الوسطى مرهقة بالضرائب. ولم يكن للعبيد أمل في حاضرهم ولا مستقبلهم. فأتى الإسلام، بعون من الله، هذه المجموعة من الفساد والخرافات. لقد كان ثورة على المجادلة الجوفاء في العقيدة، وحملة قوية ضد تمجيد الرهبانية باعتبارها رأس التقوى. ولقد بين أصول الدين التي تقوم بوحدانية الله وعظمته. كما بين أن الله رحيم عادل يدعو الناس إلى الامتثال لأمره والإيمان به وتفويض الأمر إليه. وأعلن أن المرء مسئول، وأن هناك حياة أخرى ويوما للحساب، وأعد للأشرار عقابا أليما. وفرض الصلاة والزكاة والصوم، وفعل الخير، ونبذ الفضائل الكاذبة والمدح لدى والشبهات والنزعات الأخلاقية الضالة، وسفسطة المتنازعين في الدين، وأحل الشجاعة محل الرهبنة، ومنح العبيد رجاء، والإنسانية إخاء، ووهب الناس إدراكا للحقائق الأساسية التي تقوم عليها الطبيعة البشرية»

«أضف إلى ذلك، أن الإسلام قد نظر إليه بعض الباحثين على أنه رد فعل ضد النظام الكنسي البيزنطي، الذي كان يمثل الإمبراطور ورجال حاشيته صورة من الحاشية الإلهية في الأعالي، وينظر إلى الإمبراطور نفسه لا على أنه الحاكم الدنيوي الأعظم فحسب بل على أنه الكاهن الأكبر كذلك



«أضف إلى ذلك أنه كان لتعميم استعمال اللغة العربية في كافة البلاد الخاضعة للخلافة الإسلامية وبخاصة المدن والمراكز الكبرى الآهلة بالسكان كما كان كذلك التماثل الذي تم تدريجيا في الأخلاق والعادات. والذي أدى في خلال ما يقرب من قرنين إلى اندماج الأجناس المغلوبة على اختلافها اندماجا قويا في الحياة القومية التي كان يحياها العنصر العربي الحاكم. كان لهذا كله من غير شك صدى في الحياة الدينية والفكرية لدى كثيرين من أفراد الديانات التي دخلت في خدمة العرب الفاتحين ومن المحتمل جدا أن تكون الحركة الفكرية التي أثرت في العقيدة الإسلامية تأثير بالغا، ابتداء من القرن الثاني حتى القرن الخامس للهجرة قد أثرت في المفكرين المسيحيين وصرفتهم عن ديانة كانت روح عقيدتها السائدة تلوح في ذلك الوقت إليهم عقيدة مستحيلة من الناحية العملية» [41].

«لقد انمحت الكنيسة المسيحية (في شمال إفريقيا) قبل الإسلام ومع ذلك فقد تلفت من اضطهاد الوندال [42].

(41) الدعوة إلى الإسلام (ص 89 - 93).

(42) قبيلة جرمانية قديمة استوطنت مع قبائل جرمانية أخرى وادي أودر منذ القرن الخامس قبل الميلاد.



صورة لم نعرفها قط. فقد ظل الوندال الآريون، قرابة قرن من الزمان، يضطهدون الأرثوذكس اضطهادا عنيفا لا هوادة فيه، فشردوا أساقفتهم، وحرموا الجهر بإقامة شعائرهم الدينية، وقسوا في تعذيب هؤلاء الذين أبوا أن يدخلوا في ديانة من فتحوا بلادهم». (٤٣)

«ولكننا لم نسمع (في ظل الإسلام) عن أية محاولة مدبرة لإرغام الطوائف من غير المسلمين على قبول الإسلام، أو عن أي اضطهاد منظم قصد منه استئصال الدين المسيحي. ولو اختار الخلفاء تنفيذ إحدى الخطتين لاكتسحوا المسيحية بتلك السهولة التي أقصى بها فردناند Ferdinand (١٤٥٢ - ١٥١٧م) و«إيزابلا» Isabella (١٤٥١ - ١٥٠٤م) دين الإسلام من أسبانيا، أو التي جعل بها «لويس الرابع عشر» Louis XIV (١٦٣٨ - ١٧١٥م) المذهب البروتستانتي مذهبا يعاقب عليه متبعوه في فرنسا، أو بتلك السهولة التي ظل بها اليهود مبعدين من إنجلترا مدة خمسين وثلاثمائة سنة».

لقد كانت الكنائس الشرقية في آسيا قد انعزلت انعزالا تاما عن سائر العالم المسيحي الذي لم يوجد في جميع


(٤٣) الدعوة إلى الإسلام، ص ١٤٥ - ١٤٦.



بحرية حد بعيد في حياتهم باعتبارهم طوائف خارجة عن الدين ويبقى فإن مجرد بقاء هذه الكنائس حتى الآن لتحمل في طياتها دليل قوي على ما تمتعت به سياسة الحكومات الإسلامية من درجة عالية من التسامح نحوهم

إنه يجب ألا نفترض أن حالة الأقباط كانت على الدوام حالة طائفة مضطهدة، بل على العكس. كانت هناك فترات كانوا يرقون فيها الى المناصب التي تتمتع أصحابها بالسطوة والنفوذ في الدولة فملأوا مناصب الوزراء والكتاب في دواوين الحكومة، وحددوا قيمة الضرائب التي تجبى على الأرض التي تعطى على سبيل الالتزام ... وجمعوا ثروة ضخمة في بعض الحالات. ولقد أمدنا تاريخ كنيستهم بكثير من الأمثلة عن رجال الكنيسة الذين تمتعوا بعطف الأمراء الذين حكموا بلادهم. وبلغ القبط في عهدهم أقصى درجات الطمأنينة

صحيح أن بعض الخلفاء قد قاموا بمحاولات غير مجدية لإقصائهم عن الوظائف العامة. فأصدر المنصور (١٣٦ ١٥٨هـ ٧٥٤ ٧٧٥م) والمتوكل (٢٣٢ ٢٤٧ هـ

---

٤٤ نظام في استغلال الأرض الزراعية يمنح فيه الدولة الحق في الأرض في الأمر الواقع لمن يحقق أكبر مقدار من الفائدة للدولة ... يقوم بالإشراف على زراعة الفلاحين ... يدفعون ... محصلا للدولة ... بدفعه للدولة ... يستغله من الأرض نفسه

٨٤٧ ٨٦١م)، والمقتدر (٢٩٥-٣٢٠ هـ ٩٠٨-٩٣٢م)، والآمر (٤٩٤ ٥٢٤هـ ١١٠١ ١١٣٠م)
وهو أحد الخلفاء الفاطميين في مصر مراسيم بهذا الصدد، وصدرت مثل هذه المراسيم في عهد سلاطين المماليك في القرن الرابع عشر الميلادي، ولكن مجرد تجديد هذه المراسيم الخاصة بإقصاء الذميين من الوظائف الحكومية دليل على أن مثل هذه الأساليب التي تنطوي على التعصب لم تكن توضع موضع التنفيذ دائما والحق أنه يمكن أن تكون هذه المراسيم راجعة بوجه عام إلى السخط الشائع أثاره السلوك الخشن المتعجرف الذي يسلكه الموظفون المسيحيون، أو إلى تعصب شديد منهم حمل الحكومة على القيام بأعمال من التعسف تتنافى مع الروح العامة التي ظهر بها الحكم الإسلامي، ولكن مصير هذه الأعمال التعسفية قد آل إلى الزوال في أسرع وقت إن هذه المراسيم لم تكن إلى حد كبير أثر الشعور الديني البحت بقدر ما كانت أثر للظروف السياسية التي سادت هذا العصر.

ويمكن أن نرجع كثير من اضطهادات المسيحيين في البلاد الإسلامية إما إلى الشك في ولائهم، الذي كانت تثيره دسائس المسيحيين الغرباء وأعداء الإسلام وتدخلهم في شئونهم. أو إلى الشعور السيئ لدى إثارة ممسلك

٧٥٤ ـ ٧٧٥م)، والمهدي (١٥٨ ـ ١٦٩هـ ـ ٧٧٥ ـ ٧٨٥م)، والمأمون (١٩٨ ـ ٢١٨هـ ـ ٨١٣ ـ ٨٣٣م)، والمتوكل (٢٣٢ ـ ٢٤٧هـ ـ ٨٤٧ ـ ٨٦١م) والمقتدر (٢٩٥ ـ ٣٢٠هـ ـ ٩٠٨ ـ ٩٣٢م)، وإلى كثير من خلفائهم. كما تعرضوا أيضا بعض كثير من المسلمين باستخدامهم عيونا للدولة العباسية ومطاردة أتباع البيت الأموي الذي أقصي عن الحكم. وفي عصر متأخر نبههم المسيحيون في زمن الحروب الصليبية باتصالهم بالصليبيين اتصالا ينطوي على خيانة، فحملوا على أنفسهم قيودا شديدة الحرج، ليس من العدل أن نسميها باسم اضطهاد ديني.

يقول السمعاني [٤٦] (٥٠٦ ـ ٥٦٢هـ ـ ١١١٣ ـ ١١٦٦م) (ج ١) نفسه الأول (ص٩٨ ـ ١٠٦) حين يتحدث عن الأسباب التي أدت إلى اضطهاد المسيحيين في ظل الحكم الإسلامي:

"كثيرا ما أثارت المنازعات المتبادلة بين المسيحيين أنفسهم، وتصريحات رجال الدين وكبراء قادتهم، وسلطة أقطابهم العاتية عاصفة من الاضطهاد، وحوادث التدخلات بين الأطباء والكتاب بقصد السيطرة المطلقة على مناصبهم

وفي خلال الحروب الصليبية، طالما وقع مسيحيو الشرق

---

(٤٦) أبو سعد عبد الكريم بن محمد السمعاني المؤرخ، رحالة، ومن حفاظ الحديث. له مؤلفات مهمة في التاريخ والأنساب، وكتابه تاريخ مرو يزيد على عشرين جزءا.

ولا يجوز أن نخفي عدد أنواع القسوة والعنف المدني ارتكبا في أية مناسبة والتي إذا نظرنا إليها عن قرب لن نتردد في معرفة أن أسبابها كانت سياسية محضة، أو راجعة إلى الأهواء البشرية أو إلى المزاج المسيطر على الحاكم أو في الشعوب. إن العامل الديني لم يلجأ إلى هذه الوسائل إلا من حيث هي حجة ولكنه في الواقع لا يدخل في نطاقها».

وقد عرض «ماري بن سليمان»[48] تعليلا لحالات الارتداد عن النصرانية إلى الإسلام حول نهاية القرن العاشر بقوله: «وأسلم خلق كثير. وكان أصل ذلك تحوّل الناس في أديانهم وفتح سيرة الكهنة في المذابح والبيع وبيوت المقدس».. «ولم يتعرض أحد لمعظم كنائسهم وأديارهم إلا في المدن الكبيرة. حيث تحول بعضها إلى مسجد، وهو تصرف كان من العسير أن يعترض عليه نظرا لتزايد عدد المسلمين الهائل وما كان يقابله من تناقص في المجتمع المسيحي»[49].

(٤٨) ماري بن سليمان (منتصف القرن الثاني عشر الميلادي) مؤلف نسطوري جمع عقود البطاركة وتواريخهم في كتابه (المجدل للاستبصار والجدل).

(٤٩) الدعوة إلى الإسلام ص٨٣، ٩٤، ٩٨، ٩٩، ١٢٨، ٤٦٢.



(٢)

العوامل الذاتية
لتفوق الإسلام وسرعة انتشاره

لقد باشر محمد سلطة زمنية كالتي كان يمكن أن يباشرها أي زعيم مستقل، مع فرق واحد هو أن الرباط الديني بين المسلمين كان يقوم مقام رابطة الدم. وعلى هذه الصورة أصبح الإسلام، ومن الوجهة النظرية على الأقل، كما بين دائما، نظاما سياسيا بقدر ما هو نظام ديني.

كانت رغبة محمد ترمي إلى تأسيس دين جديد، وقد نجح في هذا السبيل، ولكنه في الوقت نفسه أقام نظاما سياسيا له صفة جديدة متميزة تميزا تاما.

وكان دخول مبدأ جديد من الوحدة الاجتماعية في ظل الأخوة الإسلامية في المجتمع العربي قد بدأ منذ حين في إضعاف القوة الرابطة للفكرة القبلية القديمة. تلك الفكرة التي أقامت بناء المجتمع العربي على أساس قرابة الدم. وكان إسلام الفرد ودخوله في المجتمع الجديد هدما لأهم قوانين الحياة العربية الأساسية، كما كانت كثرة دخول العرب في الإسلام من العوامل القوية التي أدت إلى تفكك النظام القبلي وتركه ضعيفا أمام حياة قومية شديدة التعصب قوية التماسك. كذلك الحياة التي صار إليها المسلمون

إن دخول الإسلام في المجتمع العربي لم يدل على مجرد القضاء على قبل من عادات بربرية وحشية فحسب، وإنما كان انقلابا كاملا لكل العبادة التي كانت من قبل.

كذلك نجد أن أداء الصلوات الخمس كل يوم على جانب عظيم من التأثير، سواء في حدث الناس أو الاحتفاظ بالمسلمين منهم. وقد أحس مونتسكيو (١٦٨٩ - ١٧٥٥) [٥] في قوله: "إن المرء لأشد ارتباطا بالدين الحافل بكثير من الشعائر منه بأي دين آخر أقل منه احتفالا بالشعائر، وذلك لأن المرء شديد التعلق بالأمور التي تسيطر دائما على تفكيره".

إن الدين المسلم يمثل دائما في مخيلته، وفي الصلوات اليومية، يتجلى هذا الدين في طريقة سلكية خاشعة مؤثرة، لا يستطيع أن تترك العابد والمشاهد كليهما غير متأثرين.

يتحدث سعيد بن الحسن أحد يهود الإسكندرية الذي اعتنق الإسلام في سنة (١٢٣٨م) عن مشهد صلاة الجمعة في مسجد باعتباره عاملا حاسما في تحوله إلى الإسلام في

(٥) كاتب وفيلسوف فرنسي يعد مؤلفه روح القوانين، من معالم النهضة الأوروبية تحدث فيه بحديث عن أشكال الحكومة والفصل بين السلطات و...

Converted by Total Image Converter - (no stamps are applied by registered version)

خلال مرض شديد قد انتابه، رأى في منام أن صوت يأمره بأن يجهر بالإسلام ، وعدم دخلت لمسجد ، واستمر حديثه إلى أن يقول : ورأيت لمسلمين يقفون صفوفا كأنهم الملائكة، سمعت هاتفا يقول : هذه هي الجماعة التي أخبر الأنبياء صلوات الله عليهم بقدومها ولما ظهر الخطيب مرتديا عباءته السوداء استولى علي شعور عميق من الرهبة ولما ختم خطبته بالكلمات : إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون وما بدأت الصلاة أحسست بقوة تدفعني إلى النهوض، لأن صفوف المسلمين بدت أمامي كأنها صفوف الملائكة الذين يتجلى الله عليهم في سجداتهم، ثم سمعت هاتفا يهتف بي : إذا كان الله قد تحدث مرتين إلى الأنبياء... في كل العصور، فإنه يتحدث إلى هذه الجماعة في كل وقت من أوقات الصلاة وانتهيت في نفسي أني خلقت لأكون مسلما»

... (١٨٢٣ - ١٨٩٢م) فإنه يقول :

«... دخلت المسجد قط، دون أن تهزني عاطفة حادة ... وبعد ... حرى دون أن يصيبني أسف محقق على أني لم أكن مسلما

(٥١) مؤرخ ... ومستشرق فرنسي ... عن ... المسيحية ... كتب ... وهو من ... في تقسيم ... عصر ... حسب ... السلالات

ومن كلمات أسقف مسيحي مشهور «ما من فرد يتصل بالمسلمين لأول مرة إلا ويأخذ بمظهر دينهم هذا، وحيثما يمكن للرحالة، في الطريق العام، أو في محطة السكة الحديدية، أو في الحقل. فإن من أكثر الأشياء شيوعا أن يرى الرجل منهم، يترك في المحطة التي يقوم فيها بأداء أعماله أيا كانت، بدون أدنى شعور بالرياء أو الظهور، وفي سكينة وخشوع، لكي يؤدي صلواته في أوقاتها المحددة. وأكثر من ذلك، أنه ما من فرد يرى يوما ساحة الجامع الكبير يوم الجمعة الأخيرة من شهر رمضان، وهي غاصة بما قد يربو على (١٥,٠٠٠) مصل وكلهم جميعا منهمكون في صلاتهم، مظهرون أعمق آيات الإجلال والخشوع في كل إشارة يبدونها، إلا تأثر تأثرا عميقا بهذا المشهد، أو أخذ فكرة غامرة عن تلك القوة التي ينطوي عليها هذا النظام تحت لوائها، على حين تجد النظام الدقيق لدى سعيي في دعوة الناس اليومية إلى الصلاة عندما يؤذن الداعي في وقت السحر، قبل أن يتنفس الصبح، أو بين ضوضاء ساعات العمل وصخبها، أو عندما يرخي الليل سدوله كذلك مفعما بتلك الرسالة ذاتها»

ولا حاجة إلى القول بأن صيام شهر رمضان جزء من دليل ثابت يدحض النظرية القائلة بأن الإسلام نظام ديني يجذب الناس عن طريق مراودتهم في ملذاتهم الشخصية وكما

ق كرلس» (١٧٩٠ ١٨٤٣م)[٥٢] ب دين محمد بيس بلدين لسهل، فإنه بما فيه من صوم قاس، وطهره وصيغ معقده صرمة، وصلوات حمس كل بوم، وإمساك عن شرب لحمر، لم يفلح في أن بكون ديا سهلا [٥٣]

ويرجع انتشار الإسلام في تلك لرقعه المسيحة من لأرض الى أسباب شتى جتماعية وسياسيه ودينيه. على ن هناك عملا من أقوى عوامل العلة التي أدت لي هده النتيجة العظيمة. تلك هي لأعمال المطردة لتي قام بها دعاه من المسلمين وقفو حياتهم على الدعوة إلى لإسلام، متخذين من هدى الرسول مثلا أعلى وقدوة صالحة

لقد حمل الإسلام، منذ لبداية، طابع الدين لذي يقوم على الدعوة ويسعى لجذب قلوب لناس لتحويلهم به وجذبهم على الدخول في زمرة المؤمنين وكما كانت لحال في مبدأ الامر كذلك ظلت على هذا النحو الى اليوم

ولم يكن نشر لإسلام من عمل لرجال وحدهم، بل لقد قامت لنساء لمسلمات أيضا بنصيبهن في هده المهمة

(٥٢) مصلح ومفكر تحيري حر به كدنه لمشهور معظمه ويهم محمد،

(٥٣) الدعوة الى لإسلام (ص٥٢، ٥٩، ٦١، ٤٥٩، ٤٦٠، ٥٥٨، ٥٥٩)



اندنسية وقد انشا دعاة السنوسية [٥٤] الذين قدموا لنشر دعوتهم بين [illegible] [٥٥]، شمال تشاد، مدارس [illegible]، و[illegible] ما كتبت [illegible] من نفوذ قوي بين القبائل (كما [illegible] هذا النفوذ [illegible] من [illegible])، [illegible] جهودهم [illegible] الى صفوف الإسلام

[illegible] ألا [illegible] الأدبية على روح الدعوة الإسلامية في [illegible]، أو [illegible] للتعصب، ولا حتى في [illegible] للمسلم [illegible] لاسطوري الذي [illegible] [illegible] في [illegible] القرن في [illegible] الاخرى و[illegible] في تلك [illegible] [illegible] لدعاة واصحاب [illegible] عقائدهم في كل صقع من الأرض على [illegible] هؤلاء الدعاة [illegible] من هذه الأساليب [illegible] في [illegible] عن طريق الدعوة والإقناع [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] في [illegible] الأساليب [illegible] فقد جاء [illegible] في [illegible] على هذه الطرق [illegible] في [illegible]، مثال ذلك

(٥٤) [illegible]
[illegible] ١٢٠١ [illegible] ١٢٧٥ [illegible] ١١٨٧ [illegible] ١٨٥٩م

(٥٥) من [illegible] الافريقية

﴿ وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ أُولِي النَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا ﴾ (المزمل ١٠ ، ١١)

﴿ إِلَّا بَلَاغًا مِّنَ اللَّهِ وَرِسَالَاتِهِ ﴾ (الجن ٢٣)

﴿ قُل لِّلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ لِيَجْزِيَ قَوْمًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ (الجاثية ١٤)

﴿ وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِ مِن شَيْءٍ نَّحْنُ وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن دُونِهِ مِن شَيْءٍ كَذَٰلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴾

(النحل ٣٥)

﴿ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴾ (النحل ٨٢)

﴿ وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴾ (العنكبوت ٤٦)

﴿ فَإِنْ أَعْرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ ﴾ (الشورى ٤٨)

﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴾ (يونس ٩٩)

﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾ (سبأ ٢٨)

ولم تكن هذه التعاليم مقصورة على السور المكية وإنما وردت أيضا بكثرة في الآيات المدنية، كقوله تعالى

﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ ﴾ (البقرة ٢٥٦)

﴿ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴾ (التغابن ١٢)

﴿ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴾ (النور ٥٤).

﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾ (الحج ٤٩)

﴿ وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَائِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (المائدة ١٣)

وإذا كان المسلمون قد بلغوا هذه الحماسة في نشر الدعوة فلسبب لأن بعض العوامل التي ساعدت على نجاحهم في مقدمة هذه الأسباب سماحة العقيدة الإسلامية.

لا له الا لله. محمد رسول الله. وكان يطلب من لذى يدخل فى الإسلام، فرب هاتين الشهادتين ان هده معقيدة بسيطة لا تتطلب تجربه كبيره للإيمان. ولا تثير فى بعدة مصاعب عقلية خاصة وبما كنت خالية من المحارج ولحيل اسطرية ىلاهوتية، كان من الممكن أن يشرحها ى فرد، حتى أقل الناس خبرة بالمعارف لدينية لطرية.

ولا يستطيع أى فرد أن يوضح لطابع لعقلى معقيدة الإسلامية، وما حققته من هذا الطابع من الفائدة فى نشر الدعوه، توضيحا يبعث على لإعجاب، بأكثر مما وضحه البروفيسور «مونته» (١٨٥٦ ١٩٢٧م) [٥٦] فى العبارت التالية

«الإسلام فى جوهره دين عقلى، بأوسع معنى هذه الكلمة من لوجهتين لاشتقاقية والتاريخية. فإن تعريف لأسلوب لعقلى (Rationalism) بأنه طريقة تقيم لعقائد لدينية على أسس من المبادئ المستمدة من لعقل والمنطق، ينطبق على الإسلام تمام الانطباق. ولحق أن محمدا، لذى كان متحمسا لدينه، كما كان كذلك يمتلك غيرة الإيمان، ونار

(٥٦) دو رد مونتيه مستشرق فرنسى ترجم لقرآن الى لفرنسية ومن مؤلفاته «حاضر الإسلام ومستقبله»



الاقتناع تلك الصفة القيمة التي بثها كثيرا جدا في أتباعه فقد عرض حركته الإصلاحية على أنها وحي وإلهام على أن هذا النوع من الوحي ليس إلا صورة من العرض والتفسير، وأن لديه كل العلامات التي تدل على أنه مجموعة من العقائد قامت على أسس المنطق والعقل وتتفحص العقيدة الإسلامية. من وجهة نظر المؤمنين، في الاعتقاد بوحدانية الله ورسالة نبيه، أما من وجهة نظر نحو الدين تحلل عقائده تحليلا لا روح فيه، فتعتقد في الله وفي الحياة الآخرة

وهذان المبدآن هما أقل ما يسعى للاعتقاد الديني، وهما أمران يستقران في نفس الرجل المتدين على أساس ثابت من العقل والمنطق، وتتلخص كل تعاليم العقيدة التي جاء بها القرآن وإن بساطة هذه التعاليم ووضوحها هي على وجه التحقيق من أظهر القوى الفعالة في الدين وفي نشاط الدعوة إلى الإسلام فقد حفظ القرآن منزلته من غير أن يطرأ عليه تغيير أو تبديل، باعتباره النقطة الأساسية التي بدأت منها تعاليم هذه العقيدة، وقد جهر القرآن دائما بمبدأ الوحدانية، في عظمة وجلال وصفاء لا يعتريه التحول، ومن العسير أن نجد في غير الإسلام ما يفوق تلك المرتبة وإن هذا الإخلاص لمبدأ الدين الأساسي والبساطة الجوهرية في الصورة التي

يصنع فيها هذا الدين، والدليل الذي كسبه هذا الدين من قبل الدعاة الذين يقومون بنشره اقتناعا يسهب حماسة وغيره، وهذا كله يكون لأسباب الكثيرة التي تفسر لنا نجاح جهود دعاة المسلمين وكذلك من الموقع لعقيدة محددة كل التحديد، خالية كل الخلو من جميع العقيدات الفلسفية، ثم هي تبعا لذلك في متناول إدراك الشخص العادي أن تمنحه وأنها لتمنحه فعلا، قوة عجيبة، لاكتساب طريقها إلى ضمائر الناس "

وقد أكد مراتشي Marracci (١٦١٢ - ١٧٠٠م)[٥٧] هذا القول، في القرن السابع عشر بقوله "إن قارب كثيرا بين الحالة الطبيعية البسيطة التي فاقت طاقة إدراك البشري، وهي على الأقل من صعوبة تكاد أن لم تكن مستحيلة، للعقيدة المسيحية) وبين عقيدة الفرق الأخرى من الأولى في الحب والشرع التي ساهمة في الترحيب والقبول "

وإذ قال الذي يبحث في الإسلام هذه العقيدة البسيطة وتعاليمه، لم تكن بد عند من أن تعمم فرص المدين لحماس

---

٥٧) لاك مراتشي مستشرق إيطالي من رجال الأكليروس تعلم العربية وترجمة للإنجيلية وله دراسة عن الإسلام كما ساهم في ترجمة العهدين القديم والحديث

(١) اسطق بالشهادتين

(٢) وإقام الصلوات الخمس في أوقاتها

(٣) وإيتاء الزكاة

(٤) وصوم رمضان

(٥) والحج إلى مكة

وطالما اعترض بعض الناس على أداء هذا الفرض الأخير باعتباره بقية عربية من بقايا الوثنية ظلت من جملة تعاليم النبي التي تدعو إلى الوحدانية. ولكن ينبغي الا نعزب عن الأذهان، أن الحج قد اقترن بإبراهيم، فهو إعادة دين إبراهيم ولكن، فوق ذلك كله، وهنا تكون أهميته لعينيا في تاريخ نشر الدعوة في الإسلام، ينظم الحج اجتماع المؤمنين في كل سنة، على اختلاف شعوبهم ولغاتهم، من كافة أنحاء العالم، للصلاة في ذلك المكان المقدس الذي يولون وجوههم شطره في كل ساعة من ساعات عبادتهم الخاصة في أوطانهم النائية ولم تستطع أية محاولة يقوم بها عباقرة أي دين أن تتصور وسيلة أحسن من هذه الوسيلة تطبع في عقول المخلصين معنى حياتهم المشتركة، وأخوتهم التي ترتبط بروابط الدين، وفي ذلك المكان، حيث نجد عملا ساميا من أعمال العبادة المشتركة، نرى زنجي ساحل أفريقيا العربي

يلتقي بالصيني من أقصى المشرق، ويتعرف التركي الرقيق المهذب على أخيه المسلم من أهل الجزائر المتوحشين الذين يسكنون أبعد أطراف بحر الملايو وفي هذا الوقت نفسه تتطلع قلوب المؤمنين في كافة أنحاء العالم الإسلامي، في عطف وحنين، إلى إخوانهم الأسعد حظا منهم الذين تجمعوا في المدينة المقدسة، فيحتفلون في أوطانهم بعيد الأضحى العيد الكبير وإن زيارتهم للمدينة المقدسة قد أصبحت في نظر كثير من المسلمين التجربة التي حثتهم على الجهاد في سبيل الله وبعد ذلك طبقة الحجي الحجاج بنصيب فعال في أعمال نشر الدعوة الإسلامية

وفي حسب نظام الحج نجد إنشاء الركة فرصة تذكر المسلم دائما بقوله تعالى ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ (الحجرات ١٠) وهي نظرية دينية تتحقق على صورة رائعة تبعث على الدهش في المجتمع الإسلامي، وقلما تعجز عن أن تتجلى في أعمال الشفقة إزاء المسلم الجديد ومهما يكن جنسه ولونه وأسلافه، فإنه يقبل في زمرة المؤمنين ويتبوأ مكانه على قدم المساواة مع أقربائه المسلمين

لقد روعي في تأليف هيئة الكنيسة المسيحية منذ بدء تاريخها، نشر التعاليم المسيحية بين الكفار وكان

ميسروها في أغلب الأحيان. فالقسوسة والرهبان يعبدون لهذا الغرض المنظم. أما في الإسلام فإن عدم وجود أي لون من ألوان الكهنوت أو ما يشبه طبقة منظمة بالكامل، قد جعل نشاط الدعوة عند المسلمين يجري في صور مختلفة تمام الاختلاف عن تلك التي تظهر في تاريخ البعوث التبشيرية المسيحية فليس هناك جمعيات للدعوة. ولا موظفون مدربون لهذا الغرض كما أنه قلما نجد مراصد المجهود في هذه السبيل. إن عدم وجود فكرة عن نظام الكهنوت. أو أية نظرية ترى فصل المعلم الديني عن عامة المؤمنين. أو ترى ضرورة العكوف على تأدية الوظائف الدينية. والتشريع بها كل ذلك يجعل الاختلاف الأساسي في الموضوع، نظل قائمة في كل مكان، في وضوح وجلاء"

"ولم يكن النشاط الروحي للإسلام كما زعم عدد كبير جدا من الناس، متمشيا مع السلطة السياسية بل على العكس من ذلك. نجد فقدان السلطة السياسية والانتعاش المادي. يعمل على إبراز جمال الصفات الروحية التي تعد صدق البواعث التي تحضر على القيام بأعمال الدعوة."(58)

(58) الدعوة إلى الإسلام ص ٢٧، ٢٨، ٣٠، ٦٢، ٤٤٩، ٤٥٢، ٤٥٤، ٤٥٧، ٤٦٩).

«ونستطيع أن نستخلص بحق أن هذه القبائل المسيحية التي اعتنقت الإسلام، إنما فعلت ذلك عن اختيار وإرادة حرة. وأن العرب المسيحيين الذين يعيشون في وقتنا هذا بين جماعات مسلمة لشاهد على التسامح».

يقول لايارد Layard: «إنه صادف مخيما من العرب المسيحيين في مدينة الكرك، شرقي البحر الميت، لا يختلفون عن العرب المسلمين بحال ما، سواء في القرى أو العادات».

«ولا شك أن التحول إلى الإسلام كان يقترن ببعض مزايا مالية معينة، ولكنه لم يكن من الممكن أن يكون للدين نفسه إلا تأثير ضئيل على هؤلاء الذين تحولوا إلى الإسلام لا لشيء إلا ليظفروا بإعفائهم من أداء الجزية، وعندئذ كان على الذين يتحولون إلى الإسلام أن يؤدوا بدلا من الجزية الصدقات الشرعية، وهي الزكاة التي كانت تفرض سنويا على معظم أنواع الممتلكات المنقولة والعقارية. وقد قل إلى حد بعيد ما كان يحدث من إغراء مادي للتخلص من عبء الضريبة عن طريق التحول إلى الإسلام، وذلك حين اضطرت بعض الاعتبارات المالية الحكومة العربية حول نهاية القرن الأول، إلى أن تشدد على المسلمين الجدد في أن يزالوا دفع الجزية حتى بعد دخولهم في زمرة المؤمنين».

ويمكن تعريف من ذلك هذه النظرية (التجربة) على

المسيحيين كما توضحها بعض المحسنين على نطاق أوسع

من ذلك بعقد لاستيعابهم عن شعوب الإسلام (ثم كانو

يتقربون مع سائر من الناس وهم غير المسلمين من رعايا

الدولة الذين كانت تحول دعوتهم سبيلهم إلى الخدمة في

المجلس التي مثل الخدمة التي كتبت بها سوف المسلمين

ومن الصحيح أن أي جماعة مسيحية كانت تعني من ذا

هذه الصفة ذات دخلت في خدمة المجلس الإسلامي. وكان

يحرص على هذه الحقوق المرحمة وهي قسمة مسيحية

كانت تقسم النحو لكل من المسلمين والعهدة

يكون عدد منهم ربما الكثير معهم في التعريب على شريعة

الإدخال الحجر بعض الشبه من جهة

ولما دخلت الشعوب الإسلامية في البلاد في سنة

٢٢ هـ ... مع ...

على حدود هذه البلاد بعضها من ذلك التجربة

العسكرية

وتحدثنا هنا هذه الأقلية من التجربة في هذه

المسيحيين الذين عملوا في الجيش والأسطول في ظل

Mtgaris

العسكري ... عرفت به هذه ...

رهم جماعة من مسيحي ... بين عشر من ... نصرانية
على مرتبطة بتقدم جماعة من مرتجل مسيحيين لحراسة
... على جبل Geraens Citharon ... كانت
بردي لي جميع كورسه وكان مسيحيون لدى ستحدم
ضلاع بمقدمة الجيش التركي لإصلاح الطرق ...
... قد عشر من ... تخرج، ومجموعات من الرجل
معدود من جميع ... ركست ... هي Hydre
مسيحيون ... مسيرة ... قدمة هي
... في ... ومسلمين من ... الأسطول
التركي كانت ... عليهم من ... في ...
وقد على ... من الضرائب هي ...
... Awmaloli ... عشر ... من
... في الجيش التركي ... عشر
... Mirdites ... رهم
... كانت ... ترفعه ...
... (Scatri) ... على مرتبطة ... قرية
... في من ...
... على ... التي ... على ...
... ... في ...

حراسة مستودعات البارود في تلك المدينة نظراً إلى ما قدموا للدولة من خدمات. ومن جهة أخرى أعفي الفلاحون المصريون من الخدمة العسكرية على الرغم من أنهم كانوا على الإسلام، وفرضت عليهم الجزية في نظير ذلك، كما فرضت على المسيحيين"

"إن الفكرة التي شاعت بأن السيف كان العامل في تحويل الناس إلى الإسلام بعيدة عن التصديق. إن نظرية العقيدة الإسلامية تلتزم التسامح، وحرية الحياة الدينية لجميع أتباع الديانات الأخرى

وعلى الرغم من أن صفحات التاريخ الإسلامي قد تلوثت بدماء كثير من الاضطهادات القاسية، فإن الكفار على وجه الإجمال، يعيشون في ظل الحكم الإسلامي بدرجات من التسامح لم نكن نجد لها مثيلاً في أوروبا حتى عصور حديثة جداً. وإن التحول إلى الإسلام عن طريق الإكراه محرم طبقاً لتعاليم القرآن ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ (البقرة ٢٥٦) ﴿أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ (يونس ٩٩)، ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ (يونس ١٠٠)

إن مجرد وجود كثير جداً من الفرق والجماعات المسيحية في الأقطار التي ظلت قروناً في ظل الحكم الإسلامي، لدليل

تدت على ذلك لنسمح ندى نعومه هؤلاء المسيحيون كما يس على ان الاضطهادات التي كانوا يدعون إلى معابدهم بأيدي لعماة والمتعصبين إنما كانت ناتجة من بعض ظروف خاصة وقليلة، كثر من ان تكون منبعثة من مبدأ مقرر من لتعصب "

" ولما هرب موسى بن ميمون (٥٢٩ ٦٠١هـ ١١٣٥ ١٢٠٤م) لدى كان قد تظاهر بالدخول في الإسلام في عهد الموحدين، الذين كان حكمهم ينطوي على لتعصب الديني إلى مصر، وأعلن هناك أنه لملا نه يهودي، اتهمه أحد فقهاء المسلمين من سبب الارتداد عن الإسلام، وطلب بأن يوقع عليه أقصى عقوبة يقضي بها لشرع لهذا الجرم وبكن القاضي الفاضل عبد الرحيم بن علي (٥٢٩ ١١٣٥ ٥٩٦هـ ١٢٠٠م) وهو من أشهر قضاة المسلمين، وكبير وزراء صلاح الدين لعظيم (٥٣٢ ١١٣٧ ٥٨٩هـ ١١٩٣م) ألغى هذا الحكم وأعلن بصفته حرمة أن رجلا قد أرغم على الدخول في الإسلام، لايصح شرعاً أن يعد مسلما

وبهذه الروح نفسها، نجد "غازان" (٦٩٤ ٧٠٣هـ ١٢٩٥ ١٣٠٤م)[٥٩] ، عندما اكتشف أن عمدة أسوديه

٥٩ هو ... بن محمود ... سلاطين ... الإسلام ... دوله وسيد عدد من ... في ...

الذين كانوا قد دخلوا في الإسلام في مستهل حكمه (حيث خربت معابدهم) ثم يتحولوا إلى هذا الدين إلا تظاهرا ونفاقا يسمح لجميع هؤلاء الذين كانوا قد دخلوا رغما عنهم في العودة إلى دينهم، حيث يستردون حريتهم مرة أخرى بين مواطنيهم الهندوس، ويتبعون دياناتهم القديمة.

ويقص لنا «تافرنييه» Tavernier (١) (١٦٠٥ - ١٦٨٩م) قصة مماثلة عن بعض يهود أصفهان الذين كانوا يحكم قد اضطهدهم اضطهادا شديدا إلى حد أنه جعلهم يتحولون إلى الإسلام بالقوة والخديعة كليهما. ولكن خلفه (شاه عباس الثاني) (١٦٤٢ - ١٧٦٧م) أدرك أن القوة والرهبة وحدهما قد أرغمتهم على هذا التحول فأذن لهم أن يستردوا ديانتهم، وأن يعيشوا في هدوء وأمان.

«حتى الحاكم المجنون الحاكم بأمر الله (٣٨٦ - ٤١١هـ، ٩٩٦ - ١٠٢٠م) الذي حملت اضطهاداته كثيرا من اليهود والمسيحيين على أن يتركوا دينهم ويدخلوا في الإسلام، قد سمح فيما بعد لهؤلاء الذين تحولوا إلى الإسلام عن غير رغبة أن يعودوا مرة أخرى إلى دينهم وأن يعيدوا بناء أماكن عبادتهم المخربة».

---

(١) تافرنييه: جان باتيست تافرنييه رحالة فرنسي قام بست رحلات في آسيا ووصل إلى جاوة وجزر الهند الشرقية. وصحبته ثملك لويس الرابع عشر لقب بارون ومات في خدمة سلطنة في الشرق.

ىقد كـ ں مں ىستىطل عىى ى حـ كـم مں حكـه لإسلام

لاقوىء ں سـ ـصر سـاقه رعـد د ىمسـىحـىس و ىىقيـه

مں ىلادهم كمـ ىعل لإسان ىلعرب و لاحـىىر ىىـهود

مىه رىعه قرون عرب ركـ ں مں ىمـمـكى ىمـد ں ىىقىه

سـىيه لاىں (١٧٥، ٩٢٦هـ ١٤١٠ ١٥٢٠م) فـي سـىه

(١٥١٤م) ر ىرحىه ١٠٤٩ ١٠٥٨هـ ١٦٤٠

١٦٤٨م) فـي سـىة (١٦٤٦م) ىىث ىعكره ىىرىرىه

لـى ىصورها ىىعـىد عىى رعـىه ىمسـىحـىس ولكى عىقه

ىمىى ىمس صرفه دهد سـدىيهم عى مى هد لعرص

ىدى ىسطوى عىى ىعسـه ىد ىعمو ىمى ىحـىرهم ئمه

ىشريعه الاسلامـه و ىسـامـح الإسـلامي

ں ىىـ ىدى وحد قبولا عظـىمـا مـى لـىىـ فـي ىعرں

لـسـع عـشـر وهو ں ىكى مىطقه دىها ىحـص ىىقىله

فقط ى عاهل مسلم "

وقد سـطاع «ميخـائيل الأكبر Michael the Eldern».

ىصريق ىطـ ىكية لـعقوبي، ان يحـد فيمـ كـتبـه فـي ىىصـف

لثاني مى القرى لـثاني عشر. مـ قرة إخوانـه فـي ىمـس،

وأں ىرى صىع الله في الفـىوح ىعربية حىى بعد ان ححرت

لكـنـس اسرقـىه الحكم الإسلامي خمسه قروں وقد كـىـ

يقول ىعد ں سرد ىصطهـدات هرقل (٦١٠ ٦٤١م)

" وهذا هو السبب في أن الله لا يتقدم لدى تفرد بالقوة والحروب، ولدى تبديل دولة البشر كما يشاء، فيؤتيها من يشاء ويرفع الوضيع. لما رأى شرور الروم الذين تحولوا إلى القوة، فنهبوا كنائسنا وسلبوا أديرتنا في كافة ممتلكاتهم. وأنزلوا بنا العقاب في غير رحمة ولا شفقة، أرسل أبناء إسماعيل من بلاد الجنوب ليخلصنا على أيديهم من قبضة الروم. وفي الحق، إننا وإن كنا قد نتحمل شيئا من الخسارة بسبب انتزاع الكنائس الكاثوليكية منا، وإعطائها لأهل الخلقدونية، فقد استمرت هذه الكنائس في حوزتهم. ولما سلمت المدن للعرب خصص هؤلاء لكل طائفة الكنائس التي وجدت في حوزتها (وفي ذلك الوقت كانت قد انتزعت منا كنيسة حمص الكبرى وكنيسة حران)، ومع ذلك لم يكن كسبا هينا أن نتخلص من قسوة الروم وأذاهم وحقدهم وتحمسهم العنيف ضدنا، وأن نجد أنفسنا في أمن وسلام."

" ويجد ركلدوس دي مونت كروسس Ricoldus de Monte Crucis، وهو مبشر دومينيكاني زار الشرق في نهاية القرن الثالث عشر، يعلق بالثناء على المسلمين، لدى كان قد اشتغل بين ظهرهم بقوله:

"ستولى عليه الدهش، كيف أن أعمالا تتصف بمثل هذا الكمال يمكن أن تحيا في ظل شريعة تصطبغ بمثل هذه

لرعه لاتحدثه ركد ؟) لهما سنسعيد الآن في بحر عمات عرب ، تمت مصفه بالكمال . من ذ لدى لا يعجب إذ يمن حسد اية عديّة فائقة بالدراسة يمكن أن توحد بين العرب ، وي خلاص في الصلاة ، وأية رحمة بالفقير ، وأي تبجيل لاسم لله والأسماء والأماكن المقدسة ، واي وقر في أخلاقهم ، وفي معاملتهم بعروبا ، وأية موده ترتبط بين جنسيهم"

"لقد كان الأخطل (١٩ ٩٠هـ ٦٤٠ ٧٠٨م) وهو عربي نصراني شاعر للبلاط الأموي وكان لقديس يوحنا لدمشقي (٥٥ ١٢٢هـ ٦٧٥ ٧٤٠م) مستشار الخليفة عبدالملك بن مروان (٦٥ ٨٦هـ ٦٨٥ ٧٠٥م)

وكان في خدمة لخليفة لمعتصم (٢١٨ ٢٢٧هـ ٨٣٣ ٨٤٢م) خوان مسيحيان للعامرية سامية عند أمر لمعتصم أحدهما يدعى "سلمويه" واخاه "براهيم" وشغل الأول منصب يشبه منصب لوزير في لعصر الحديث وكانت الوثائق لمملكة لا تتخذ صفة التنفيذ إلا بعد توقيعه عليها ، على حين عهد إلى إبراهيم بحفظ خاتم الخليفة . كما عهد إليه بخزانة بيوت لأموال في البلاد واختار عبدالملك بن مروان عالما مسيحيا من مدينة الرها ، يدعى "إثناس Athansias مؤدب لأخيه عبد لعزيز وفي نهاية القرن الثامن ، نرى رجلا يدعى أبا نوح الأنباري ، كاتب أبي موسى بن مصعب ، والي الموصل وفي عهد المعتضد (٢٧٩ ٢٨٩هـ ٨٩٢

٩٠٢م) كان عمر بن يوسف والي الأنبار مسيحيا . ولقد عهد الموفق وكان صاحب السلطان المطلق على أخيه المعتمد (٢٥٦-٢٧٩هـ ٨٦٩-٨٩٢م) بأمر تنظيم الجيش إلى مسيحي، يدعى إسرائيل، واتخذ ابنه المعتضد نصرانيا حر كتا له وهو ملك بن الوليد . وفي عصر متأخر تولى في أيام المقتدر (٢٩٥-٣٢٠هـ ٩٠٨-٩٣٢م) نصراني أمر ديوان الجيش وكان نصر بن هرون مسيحيا، وكان كبير وزراء عضد الدولة البويهي (٣٣٧-٣٧١ ٩٤٩-٩٨٢م)

وكان البطريرك النسطوري «طيماوس» Timotheus يعقد المناظرات في المسائل الدينية بحضرة الخليفة المهدي (١٤٤-١٧٠هـ ٧٦١-٧٨٦م) وهارون الرشيد (١٤٩-١٩٣هـ ٧٦٦-٨٠٩م) ولما قدم شخص يدعى «يزدانبخت»، زعيم المانوية [٦١]، في زيارة لبغداد، وعقد مناظرة مع المتكلمين المسلمين، وأفحمه فيها المتكلمون منهم، حاول الخليفة المأمون (١٧٠-٢١٨هـ ٧٨٦-٨٣٣م) أن يقنعه باعتناق الإسلام، ولكن «يزدبخت» أبى ذلك، وقال: نصيحتك يا أمير المؤمنين مسموعة وقولك

(٦١) من الشرق والغرب المذاهب الدينية ... [illegible] ٣٤٢ ... [illegible]

[illegible]



مقبول وبكسك ممن لا يحسن ساس على برث مد هبهم» فلم يبد تحليفه شيئا من الاشياء لإحقاق محاولته، ووكل به من حفظه خوف عليه من تعصب نعوعه» (٦٢)

«وأما فيما يتعلق بالسواد الأعظم من هؤلاء المسيحيين العرب فإن الأخبار الخاصة بزوال المسيحية من بين القبائل العربية المضربة التي كانت تعيش في بلاد العرب الشمالية لاتزال محتاجة إلى شيء من التعمق، والظاهر أنهم قد انتهوا إلى الامتزاج بالمجتمع الإسلامي الذي كان يحيط بهم عن طريق ما يسمونه «الاندماج السلمي» الذي لم تطرقه به بحسبه احد منهم، ولو أن المسلمين حاولوا إدخالهم في الإسلام بالقوة عندما استولوا على الأمر تحت لواء الحكم الإسلامي لما كان من الممكن أن يعيش المسيحيون بين ظهرانيهم حتى عصر الخلفاء العباسيين»

«وإن مجرد بقاء الكنيسة المسيحية القومية في افريقيا الشمالية مثل هذا الوقت الطويل ليدحض أي زعم بأن تحولهم إلى الإسلام قد قام على القوة والإكراه . . » (٦٣)

---

(٦٢) الفهرست (١/ ٣٣٨)

(٦٣) الدعوة إلى الإسلام، ص٦٨، ٧٠، ٧٢، ٧٥، ٨٢، ٨٨، ١٠٢، ١٠٣، ١٠٥، ١٥٣، ٤٦١، ٤٦٣، ٤٦٧.



كان الملك «أولاف تراجفيسون Olaf Trygevesson
(٩٦٣ - ١٠٠٠م) يقوم بذبح هؤلاء الذين أبوا الدخول في
المسيحية، أو بتقطيع أيديهم وأرجلهم أو نفيهم وتشريدهم.
وبهذه الوسائل نشر الدين في «فيكن» بأسرها.

* ووصية القديس لويس (١٢١٤ - ١٢٧٠م) تقول
«عندما يسمع الرجل العامي أن الشريعة المسيحية قد أسيء
إلى سمعتها، فإنه ينبغي ألا يذود عن تلك الشريعة إلا بسيفه،
الذي يجب عليه أن يطعن به الكافر في حشاه طعنة نجلاء».

* وقد ظل الإسلام قائماً بين «البشمردية» من أهل المجر
حتى سنة (١٣٤٠م)، حين أرغم الملك «شارل روبرت»
جميع رعاياه، الذين لم يكونوا مسيحيين بعد، أن يعتنقوا
الدين المسيحي أو يغادروا البلاد.

* وفي سنة (١٧٠٣م) جمع «دانيال بتروفتش
D. petrovich» الأسقف الحاكم في ذلك الحين، القبائل
وأخبرهم أن الأمل الوحيد لإنقاذ بلادهم ودينهم ينحصر في
القضاء على المسلمين الذين يعيشون بين ظهرانيهم، وكان
من أثر ذلك أن الذين لم ينقضوا عهد الإسلام وأبوا أن يدخلوا
في المسيحية من مسلمي الجبل الأسود قتلوا في ليلة عيد
الميلاد، في ثبات ورباطة جأش.

* وفي روسيا سنة (٩٨٨م) جهر فلاديمير Vladimir "
مت روسيا في ذلك الحين بالمسيحية وفي أثيوه سلي
لعميده. صدر مرسوم يقضي بأن يدعى الروس كافة. سادة
وعبيد. أغنياء وفقراء بمعجب وفق طقوس الديانه المسيحية
وهكذا أصبحت المسيحية ديانة الروس ولم يفتح الباب
امام لمدى بالإسلام في روسيا إلا بعد أن صدر مرسوم سنه
(١٩٠٥م) انسى بنص على التسامح الديني أما قبل ذلك
التاريخ. فلقد حولت الحكومة الروسية فرض المسيحية
على رعايا المسلمين في أوروبا بما في ذلك التتار وكان
القانون الجنائي الروسي يتضمن دائما عقوبات صارمة لهؤلاء
الذين حادوا عن الكنيسة الأرثوذكسية. ويعاقب كل شخص
تثبت عليه تهمة تحويل مسيحي الى الإسلام. بتجريده من
كافة الحقوق المدنيه. وبحبسه مع الأشغال الشاقة مدة
تتراوح بين ثماني سنين وعشر

ولقد دونت الأخبار الكثير عن دخول الناس أفواجا. بعد
صدور مرسوم الحرية الدينية سنة (١٩٠٥م) ولقد
كان أكبر العصر في ذلك الحين للدعوة الإسلامية راجعا
إلى مستوى الحياة الأخلاقيه في المجتمع الإسلامي. لدى

كذ كبر رف. كمه برجع ايضه لي شعور سحي سدى كب سبيع في هد ستحمع. و سدى كب كثر نمسك وقوه وكب هؤلاء سبن سلمو سعوب في قراهم عسا و صطهدا سسمينهم " لكلاب سحويس

ولقد حد لحوف من رحب نكبسه لا يود كسبة كل محد حتي قمو حمعة حصة شوه سوربح مستورب دبيه سن احبي " لموعر لاحري Abkhazes A ملا في صهصه سعود لإسلامي

» وفي لحسه. محد لمست " سف رعد (١٣٤٢ ١٣٧٠ م) حاكم مهره سسر صرمة صد سمسلس في ممكه تقصي باعدم كل س بي احوب في لمسيحة و عنيهم من لسلاد وقد قبل ب لملك " ستبد مريام ١٤٦٨ ١٤٧٨ م) قصي نحره لاكبر من حكمه في محربه لمسمين امس كانوا عيمون على احدود لعربية من مسكه وقد كب على مسلمي " هديه " ب يدفعو حرية حرى سمست وهي ب يعطوه في كل سنة ستا سعرها له، وحرت هده لعدة في سدهم سقصي معهده كب مدب احبسه يحكم د ثما نها سه انه حكم عليهم ألا يمسو عده لحرب. ولا سمسكو لسيف. ولا يركبو حيولهم بالسروج

وإلا قتلهم وخرب مساجدهم، وبعد كانوا مجبرين على تقديم الأموال إلى رجال الملك ومعهم الميت، يخرجونها على السرير، بعد تغسيلها وتكفينها بثوب والصلاة عليها، يحسبونها قد ماتت.

* وقبائل الجلا والصومال أدخلوا كرهًا في الديانة المسيحية، زعيمهم ملك الحبشة في منتصف الأخير من القرن التاسع عشر.

* وفي سنة (١٨٧٨م) بعد حرب (١٨٧٥م) بين الحبشة ومصر عقد الملك الحبشي «حنا» مجمعًا يضم رجال الكنيسة الحبشية، ونادوا به حكمًا أعلى في المسائل الدينية، فقرر وجوب الاقتصار على دين واحد في كافة أنحاء المملكة، وأعطى المسيحيون على خلاف طوائفهم ما عدا اليعاقبة، مهلة عامين ليصبحوا فيها متفقين في الرأي مع كنيسة البلاد، وأكره المسلمون بالتسليم في خلال ثلاث سنين، والوثنيون في خلال خمس، وأذاع الملك مرسومًا بعد ذلك بأيام قليلة، وضح فيه أن مهلة السنوات الثلاث التي منحها المسلمون كانت قليلة الأهمية، وذلك أنه لم يقتصر على إرغامهم بناء كنائس مسيحية، متى كانوا في حاجة إليها، ودفع العشور للقساوسة الذين في مقاطعاتهم الخاصة.

س به ـدر كل الموظفين المسلمين بأن يختاروا في خلال ثلاثة أشهر بين قبول التعميد والتخلي عن مناصبهم وكان مثل هذا التنصير الإجباري عديم الأثر بطبيعة الحال، ففي الوقت الذي تظاهر المسلمون فيه بالقبول كانوا في الخفاء يؤكدون ولاءهم للإسلام.

وفي هذه الحملة أرغم الملك حوالي سنة (١٨٨٠م) ما يقرب من خمسين ألفا من المسلمين على التعميد كما أجبر عشرين ألفا من أفراد إحدى القبائل الوثنية وبعض المليون من قبائل الجلا على اعتناق المسيحية"(٦٥).

(٦٥) الدعوة إلى الإسلام (ص ٣٠، ٣٢، ١٢٢، ١٣٥، ١٣٦، ١٤١، ١٤٣، ٢٢٣، ٢٢٦، ٢٧٤، ٢٧٦، ٢٧٨، ٣٨١، ٣٨٣، ٣٨٤، ٣٨٥، ٣٨٧

- ٤ -

الدين والدولة

مقدمة

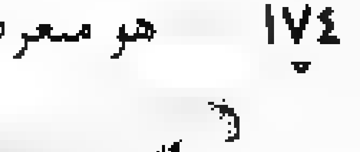
من المغرب وفدت علينا العلمانية. وبدأت عندما حلت في ركاب الغزوة الاستعمارية الأوروبية الحديثة

فعن طريق الغزو الفكري ومحاولات كسر شوكة الإسلام بالعلمانية بتحريفه عن منهجه الشامل لكل ميادين الدين والدنيا والروح والمادة، والفرد والمجتمع والأمة والدولة، والآخرة والأولى كان التحدي العلماني للدين الإسلامي

فقد أراد الاستعمار الغربي بالعلمانية تحويل الإسلام عن هذا المنهج الشامل والأصل ليكون صورة من النصرانية التي تركت ما لقيصر لقيصر، وما لله لله خلاص الروح ومملكة السماء وذلك ليستأثر الاستعمار القيصري بدنيا المسلمين الأرض والثروات ويترك للإسلام الشعائر والطقوس في المحاريب

ولقد صنع الاستعمار الغربي في مصانعه الفكرية نخبة من المثقفين المتغربين، الذين صيغت عقولهم وفق منهجه لينشروا هذه العلمانية في بلاد الإسلام حتى إنك لو قلت إن كل متغرب هو علماني وإن كل علماني هو متغرب. لما جاوزت الدقة بحال من الأحوال





وإن الأمة العربية ، كما يعرف علماء الإسلام ومفكروه ، رائدة لليقظة الإسلامية ، فما أقصر هذه العلمانية العربية في المعركة الحربية التي تخوضها مع هؤلاء المتغربين .

وإن هؤلاء العلمانيين المتغربين لا يسمعون إلا لما هو غربي ، ولا يؤمنون إلا بما هو غربي ، ولا يقرءون إلا ما يكتبه هؤلاء من الغرب ، فلعل الأوان أن يصحح لهم عقولهم أقوال غربية تشهد بها أوروبية وأمريكية ، تقول أصحابها إن الإسلام مختلف كل الاختلاف عن النصرانية ، فهو دين ودولة ، ودولته مدنية مرجعيتها الدين ، فلا هي بالدولة الكهنوتية الدينية الكنسية ، ولا هي بالدولة العلمانية اللادينية ، وإنما هو الإسلام المتميز الذي يؤسس دولة متميزة أيضاً .

ولذلك عسى الله أن يهدي هؤلاء العلمانيين إلى رؤية حقيقة الإسلام ، فيفرقون بينها وبين مخاوف "الدولة الكهنوتية" عندما يتحدثون عن "دولة الإسلام" ، فهؤلاء العلمانيون هم أحوج من غيرهم إلى الإسلام ، بحرص على الحوار معهم لرأب الصدع الفكري الذي تعاني منه مجتمعاتنا الفكرية في عالم الإسلام ، ولهم آثرت أن أقدم في هذا الكتاب خمس شهادات غربية لخمسة من علماء الاستشراق هم :

١ - العلامة دفيد سانتلانا (١٨٤٥ - ١٩٣١م). عضو في لجنة الفقه الإسلامي وفي القانون العربي.

٢ - والعلامة شاخت (١٩٠٢ - ١٩٦٩م) وهو من أعلام الاستشراق الحديث.

٣ - والمستشرق برنارد لويس الذي شهد للإسلام برغم عدائه للإسلام والمسلمين.

٤ - والمستشرق السويسري مارسيل بوازار.

٥ - والمستشرق لامبرت (أ. ك. س).

شهادة هؤلاء الخمسة.. من أعلام الاستشراق الغربي، على تميز الإسلام بأنه دين ودولة.. ومدنية وقانون.. دونما جمود.. ولا رجعية.. ولا كهنوت.. سائلين المولى سبحانه وتعالى أن يهدي به المخالفين.. وشفاء لقلوب وعقول.. ولو عن طريق هذا «الدواء» الآتي من مصانع الغرب الفكرية، التي يقدرها إخواننا العلمانيون كل التقدير.. ففي هذه الشهادات نوع من «الحكمة».. التي هي ضالة المؤمن أنى وجدها فهو أحق الناس بها».. ولكن إذا كانت الحكمة ضالة «المؤمنين».. فهي أيضًا ضالة «العقلاء» من العلمانيين.. أو هكذا يجب أن يكون!

أ.د. محمد عمارة

(١)

شهادة العلامة سانتيلانا

أما الشهادة العربية الأولى، الأولى في هذا الكتاب، فإنها لعالم غربي مرموق، هو حجة في تخصصه العلمي، وفي مكانته بين علماء الاستشراق. وفي الآثار العلمية التي تدعمها، إنه العلامة "دفيد دي سانتلانا David de Saintillana" (١٨٤٥ - ١٩٣١م)

وهو مستشرق إيطالي. ولد بتونس. وتخرج في جامعة روما. وحرر درجة الدكتوراه في القانون. وتعمق في التفقه إلى جانب القانون الروماني والقوانين العربية في الفقه الإسلامي وبخاصة في مذهبي الإمام مالك (٩٣ - ١٧٩هـ ٧١٢ - ٧٩٥م) والإمام الشافعي (١٥٠ - ٢٠٤ هـ ٧٦٧ - ٨٢٠م) ودرس إلى جانب تاريخ الفلسفة والتاريخ الإسلامي

وهو الذي درس ووضع القانونين المدني والتجاري لتونس، وفق قواعد الشريعة الإسلامية، وبما يتسق مع القوانين الأوروبية في حقبة الاستعمار الفرنسي لتونس (١٨٩٦م) كما درس تاريخ الفلسفة الإسلامية واليونانية والسريانية باللغة العربية في الجامعة المصرية الأهلية

سنة (١٩١٠م) ودرس في جامعة روما تاريخ الإسلامي وتاريخ الجمعيات المدنية الإسلامية.

ومن آثاره الفكرية غير المحصورة ترجمة وشرح الأحكام المالكية و"الفقه الإسلامي المالكي ومقارنته بالمذهب الشافعي" في نحو (١٣٠٠ صفحة) والقانون والمجتمع في المقارنة بين الفقه الإسلامي والقوانين الأوروبية والفرنسية المدنية والتجارية سنة (١٨٩٨م) وهو مصنف كبير وبحث جامع لفقه الحقوق الإسلامية وبه بحث ممحص بين الأسباب لمتسع الطحاوي الجوهري" والخلافة والسلطة في الشرع الإسلامي، كما ترجم الجزء الثاني من كتاب مختصر خليل" في الفقه المالكي لابن إسحاق وفيه مجموعة الأحكام المالكية الأكثر شيوعا في الحقوق المدنية والجزائية مع التعليق عليه سنة (١٩١٩م).

* وهذه الشهادات التي يقدمها هؤلاء العلماء مجتمعة تؤكد على تميز الإسلام الدين والشريعة عن الأديان الأخرى، في:

١- أن الإسلام دين ودولة دون أن تكون الدولة كهانة كنسية، تحكم بالحق الإلهي، كتلك التي عرفتها الحضارة المسيحية في أوروبا إبان العصور الوسطى والمتقدمة

٢ - وأن الشريعة الإسلامية متميزة بالقانون الجامع بين الأحكام وبين منظومة القيم والأخلاق الدينية، والرابط بين الشريعة والمصلحة الدنيوية بين الدين والجزاء الأخروي.

* ونحن نختار هذه الشهادة للعلامة «سانتلانا» من بحثه عن «القانون والمجتمع» المنشور في الكتاب العمدة «تراث الإسلام» الذي شرف على تخطيطه وإعداده العلامة «سير توماس أرنولد» (١٨٦٤ - ١٩٣٠م) وهو الكتاب الذي ضم مجموعة من الدراسات العلمية الرصينة التي كتبها أساطين الاستشراق الأوروبي عن معالم الحضارة الإسلامية وإبداعات علماء الإسلام.

فهي شهادة علم من أعلام الفكر العربي والإسلامي يأخذها من مصدر متميز وجامع لشهادات أساطين علماء الاستشراق. يقول العلامة «د. فيد دي سانتلانا»:

(أ) الدولة الإسلامية:

* «إن رأس المجتمع الإسلامي يعمل بوصفه نائب دولة أو رئيس حكومة، أو بوصفه خليفة الرسول وخلفاء الرسول ما هم بوارثي رسالته الروحية (وإن كان يؤثر عنهم في الجماعة صفة نيابية). أو الوكالة تتعلق برسالته وتعضيد المصالح الدينية والدنيوية للمجتمع الإسلامي. لقد أبى «أبو بكر» (٥١ق هـ - ١٣هـ / ٥٧٣ - ٦٣٤م) قبول لقب

«خليفة الله» واكتفى باسم «خليفة رسول الله». ثم درج لقب «أمير المؤمنين» منذ زمن «عمر بن الخطاب» (٤٠ ق هـ - ٢٣هـ = ٥٨٤ - ٦٤٤م). فحدد بذلك وضوح صفة ممثل السلطة العليا. الذي هو في الحقيقة ليس عاهلا (ملك) بل هو «أمير» نظرا للمدلول الأصلي للعبارة الرومانية «رئيس الآخرين».

أن اسم الإمام، الذي يطلق بمدلوله لفظه Antistes أي قائد الصلاة، بقي حتى الأخير عنوان الأعظم رئاسي صفة في العهد الإسلامي. وبكلمة أخرى. كانت وظيفته الدينية أصل جميع وظائفه الأخرى. وهي في الشريعة الإسلامية «العدل، الجهاد، الجباية، تحكيم العدالة والتقييد».

فإذا ذكر الكتاب لفظة «إمام» غير موضحة. فإنهم يقصدون أمير الدولة مطلقا، ويريدون مصدر جميع السلطات التي تصرف شئون المملكة كافة باسمه، وليس في هذه الأمور ما يضفي على الخليفة صفة القداسة أو يسمه بميسم الكهنوت. كما ادعت بهذه التسمية هيئات حاكمة معينة في تاريخ العالم.

والحقيقة هي أن سلطة الخليفة كرئيس ديني لا يمكن أن تعد سلطة حبرية أو بابوية مثلا، فهو يتجرد تماما من صفة الكهنوت؛ لأن حكومة المسلمين ما كانت في أي زمن أو ظرف حكومة دينية Hierarchy ولم يوجد فيها طائفة

رسـولي، والإمـام في سـلطته الدنيوية ليس سـيدا (ربّا) للأمة ولا أميرا لكل جماعة المسلمين، وأعماله تستمد قوتها وقانونيتها من المبدأ القائل إن الأمير يجب أن يضع نُصب عينيه مصلحة المجموع

فهذه الغاية «أمر الأمراء على الناس» وكما يجب أن يقدم الوكيل حسابا صحيحا على ما يجريه لموكله وسيده، كذلك يتحتم على الخليفة أن يسترشد بالله

* الزعيم والشعب والإمام والجماعة، اصطلاحان بسيطان يحملان كل النظام السياسي الإسلامي. وبعبارة أخرى معنى الدولة كذلك إنه تمثل الدولة وسلطة الحكومة التنفيذية، متمركزا في شخص الخليفة الذي تحتم عليه وظيفته أن يمارس تلك السلطة عندما يكون القانون واضح المدلول صريحا فهو من هذه الجهة لا يملك أي مقدرة على تحوير القانون، بل هو مضطر إلى تطبيقه بحذافيره كما في الأحوال التي لا يسوغ القانون للقاضي أن يجتهد. لكن حريته في فض القضايا التي لم يرد فيها نص هي حرية غير محدودة، لأنه ليس وكيلا عاديا، بل محل ثقة كما أن تعيينه لشئون موكول إليه بصورة خاصة، وبجانب حريته هذه في التصرف القضائي، تمتد سلطته إلى شئون كثيرة عامة أخرى، كإدارة دفة الحرب، وتقسيم الغنائم

وفرص الضرائب على الأموال، وصرف اموال الدولة في شتى الوجوه، وتعيين العمال (الحكام) والموظفين".

* "إن الرابطة التعاونية الموجودة بين الخليفة والشعب تبقى ثابتة ووثيقة العرى ما دام الخليفة صالحا للقيام بواجبه في حماية المجتمع الإسلامي، فإذا لم يعد أهلا لمنح شعبه ما يريده منه بظل سلطانه، وفسخ العقد شرعا بين المتعاقدين ويتم هذا الفسخ والإلغاء عند العجز الجسماني أو عند فقدان الحرية كوقوع الخليفة أسيرا في يد المشركين والكفار".

* "... إن اختيار رئيس المجتمع الإسلامي لا يمكن تركه للظروف والصدف أو لأعمال العنف والعصيان بل يجب أن يجري انتقاؤه بعد التفكير المتأني والتأمل بحكمة الناضج، ويقوم بانتقائه تلك الصفوة المنتخبة من أهل الرأي، الذين هم وحدهم يقدرون أن المرشح للخلافة صالح لملء هذا المنصب الجليل أم لا".

فلا يمكن أن يكون مجموع الناخبين هو أمة المسلمين كلها، لأن الناخبين هم أولئك الذين عرفوا بعلمهم ومنزلتهم وتجاربهم في أمور الدين والدنيا، وبأخلاقهم المتينة. هؤلاء وحدهم يصلحون لأن يكونوا المحكمين في هذا الشأن والنبهاء، أي إلى رجال السيف والقلم. يرجع أمر انتخاب الإمام، وأعني بهم مشاهير الشخصيات المدنية والعسكرية

Polis ... Civitas

به عند الإسلام. فالله هو الاسم الذي يطلق على سلطة عامة في حقل المصلحة العامة وعلى هذا الأموال تكون بيت المال هو «بيت مال الله» والجند هم «جند الله». حتى الموظفون العموميون هم «عمال الله».

وعلينا أن نجد أصولاً واحدة تلتقي فيها الشريعتان الشرقية والغربية (الإسلامية والرومية) كما سفر الرأي على ذلك.

الشريعة الإسلامية ذات الحدود المرسومة والمبادئ الثابتة لا يمكن إرجاعها أو نسبتها إلى شرائع وقوانينا (الغربية). لأنها شريعة دينية تعبر أفكار أصلاً، وقد يحصل في العادة خلط بين الحيثين. فالإسلام كالمسيحية أو كأي دين آخر له عقائد مخصوصة ينفرد بها، مما لا يمكن بالطبع أن يعرضها أولئك الذين نزلت فيهم إلى النقد والبحث ولكن من الظلم والتجني أن نصمها بالجمود والشدة. كما لو ألصقنا بالمسيحية التهمة نفسها، إذ يوجد في أي نظام ديني عظيم الحصر حيث نشأ شيء أكثر من مجرد عقيدة.»

أسس المجتمع الإسلامي:

* «وهي القانون الإلهي (الشريعة) إن طبيعة هذه الجماعة الملتفة حول الدين، والمستكنة تحت حكم الله

هي التي تحدد معنى الفقه والقانون، وهي بالنظر إلينا والى الأسلاف

مجموعة من القواعد السائدة التي فرض الشعب... من أسلاف عن طريق ممثليه، وسلطانه مستمد من الإرادة والإدراك وأخلاق الشعب وعاداتهم

إلا أن التفسير الإسلامي للقانون هو خلاف ذلك فإن صح أن الله هو رأس المجتمع الإسلامي وسائسه الأعلى، فالقانون لا شيء أمام إرادته والقاعدة القانونية هي القاعدة التي صبغها المشرع الأعظم (الله) على شعبه المختار والخضوع لهذا القانون بما هو واجب اجتماعي وفرض ديني في الوقت نفسه ومن ينتهك حرمته او يشق عصا الطاعة عليه لا يأثم تجاه النظام الاجتماعي فقط، بل ويقترف خطيئة دينية أيضا، لأنه «لا حق لم لم ليس لله فيه نصيب».

«فكل مسائل الفقه كان مرجعها الأخير علم الكلام (اللاهوت).

الإيمان الصحيح:

«هذا القانون، أو الشريعة، التي توزع العدالة بالقسطاس على الجميع بلا تفضيل، مستندة إلى الإيمان القويم أساسا فعلى المسلمين أن يفوا بالعهود التي يقطعونها على أنفسهم وليس لهم أن ينقضوا بمثل مسلم حرام لم يحرمه»

«وهـذا التفسير للإيمان القويـم إنما هو تفسير حقيقي أدى بصورة جوهرية حتى إنه يرتفـع إلى فكرة «المطلق» ومبدأ «المدرسة» ومن المدهش أن يكون ذلك فرق مهمـا من التفسير المادي الإقطاعي للإيمان الصحيح، ذلك التفسير الذي يرى الإيمان مجرد من الولاء والخضوع للمحضي ويمتد في شريعة الإسلام يصح وسع المجال لتحكيم الإرادة البشرية ويعلو أعظم الأهمية على القصد القانوني، لا على نص القانون الحرفي، فإرادة البشر كافية مهما كانت لخلق رابطة قانونية ولكن فيما كان بطلان أو صحة أي مبدأ قانوني مرهونا بأمر شكلي أو نص حرفي في الشريعة الإسلامية ويتجلى ذلك بمقارنته بما لا يحصى من الصيغ الشكلية في قوانين الجرمان فقاعدة الرضا في العقود بجعلها مبرمة» هي قاعدة جوهرية في نظر فقهاء القانون

المساواة:

يحرم الربا بأي شكل كان، العقود من كل أنواع المضاربة. بطلان أي اتفاق أو عقد غير مؤكد النتيجة كل هذه المميزات في الشريعة الإسلامية نبعت من هذا الأصل ويسعى على مبدأ العدل (المساواة) وبكلمة أخرى يكون العدل قائمة المساواة في كل مرحلة من مراحلها، والافتئات عليها إنما هو ضرب من المستحيل

ولقد اعتاد فقهاء معنوي أن يضع نصب عينيه تثبت كفتي الميزان كلما رجحت إحداهما على الأخرى، أعني بهذا وحق كل محاولة ترمي إلى تطبيق النص الحرفي مدفوع «بخدمة العدالة» كما جرى علماء القانون عندنا على تسميته

* ومن بين المسائل القانونية التي عملها من الشريعة الإسلامية، الأنظمة القانونية الخاصة بالشركة المحدودة (القيراط) وبعض المصطلحات القانونية لعينية في قانون التجارة. وإذا نحن ضربنا صفحا عن كل ما تقدم، فلا شك في أن المستوى الأخلاقي الرفيع الذي يسم الجانب الأكبر من شريعة العرب قد عمل على تطوير وترقية مفاهيمنا العصرية. وهنا يكمن فضل هذه الشريعة الباقي على مر الدهور

* أيكون معنى أن الشريعة الإسلامية مرجعيتها دينية، أن الفكرة الدينية قد أعاقت تطور القانون الإسلامي؟

أن هذا الاستنتاج ليس إلا سوء فهم لتلك الوحدة الفكرية التي تتمثل فيها مصدر قوة الإسلام الرئيسي

إن علم القانون ليس إلا جزءا من علم الكلام (الثيولوجيا)، وربما كانت الشريعة الإسلامية، قد صرحت بالتبرقرطية أكثر من الشريعة المسيحية بمقارنتها مع الحكم المدني،

ولكن يجب ألا نسبق كثيراً وراء هذا التفسير، فلو رددنا تأملاً لوجدنا أن ما ذهب إليه هو المعنى الذي قصده فقهاء المسلمين.

إن الفرق بين حقوق الله وحقوق العباد ليس فيه من معنى أكثر من الفارق بين القانون العام والقانون الخاص، وللفكرة الدينية بلا ريب أثر عظيم، ولكن ليس بالمقدار الذي يصل المرء. هذا التأثير مستمد مع الصبغة الأخلاقية التي تسود القانون، أي العلاقة التي تقترب غالب الوحدة بين القواعد القانونية والتعاليم الأخلاقية تتوحدا تاما، فأحكام الشركة والقرض وشروط الشهادة وعلاقة العبد بالسيد وعلاقة المدعي والمدعي عليه، وكل اتفاق أو عقد يتهيأ فيه موضوع علاقة قانونية ذات صبغة أخلاقية، فهو أسمى درجة من أن يكون محض منفعة. فالرهن مثلاً شكل من أشكال المعونة المتبادلة؛ لأن المرتهن يعين المالك على الاحتفاظ بملكه ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ (المائدة ٢) وفي الحديث: "الله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه" (رواه الإمام أحمد).

" وهكذا ترسم الأخلاق والآداب في كل مسألة حدود القانون. وبذلك جاء الحديث النبوي: "ما ليس لله فيه سهم ليس للمرء فيه حق"، وسهم الله هو إرادته في منحه كل

شخص من مستحقه، وليس له أن يحوز على ما يعود لغيره.

وإذا لحد أنفسنا أخيرا وقد بلغنا مرحلة «الحق المطلق» الذي هو سر المجتمعات المتمدنة فعلية

إن الفقه حقيقة اجتماعية، يتعلق قسم منها بالفرد وقسم بالمجتمع، فكل شيء لا ينضوي تحت لواء المنافع الشخصية يطلق عليه اسم «حقوق الله» لأن الله في الشرع الإسلامي يقوم مقام سلطة المدينة Givitas وهو المبدأ الروماني القديم. ومن الحقوق الإلهية: القوانين المتعلقة بالعتق والوصايا والأنكحة وصلة الرحم وقانون الجزاء وتحريم الربا. هذه القوانين لا يمكن التغاضي عنها أو التقليل من شأنها، لأنها متعلقة بمصلحة المجموع أو بتعبير أصح «بالنظام العام». وهي خارجة عن إرادة الفرد.

أما القسم الثاني من الحقوق، وهي الحقوق المتعلقة بالفرد وشئونه الخاصة فتسمى «بحقوق العباد». فإذ جعلت الحرية نقطة البدء (الحرية هي أولى القواعد في الشرع الإسلامي)، وجدت فقهاء المسلمين قد وصلوا إلى هاتين النتيجتين:

١ - تجد الحرية حدودها في طبيعتها نفسها؛ لأن الحرية المطلقة معناها فناء البشرية. والحدود التي تقف عندها الحرية هي ما اصطلح على تسميتها بالقواعد القانونية (الشريعة)

٢ ـ ليس في هذه الحدود اشتطاط ولا غلو؛ لأن الغاية الممنوحة من فرضها هي المنفعة والصلاح والخير بأعظم ما يستطيع الفرد أن المجموع أن يجني منها حيث المنفعة وهي الغاية التي تهدف إليها الشريعة. بها أيضا محدودة ومقيدة.

ن لمحة خاطفة تلقيها على مختلف الأنظمة القضائية. قد تكون لنا فيها بعض العون على تعريفنا بالقواعد العملية لهذه الشريعة.

لما كان الفرد خليفة الله في أرضه، فقد وهبه خالقه ملكات تدرك الحقوق. وأسماها حق المرء بوصفه فرد في السلامة والحرية. فالحرية هي الحق الطبيعي لكل مخلوق بشري. أما الرق فهو استثناء لتلك القاعدة «كان آدم وحواء وكلاهما حر». من هذا المبدأ استخلص الفقهاء المبادئ الكثيرة.

فللمرء أن يقتني ما يشتهي، ويصنع بماله ما يريد؛ لأن متاع الدنيا جميعه حق للاستعمال البشر وانتفاعه. ولكن الله مقرر حق الملكية والحيازة وضع لهذا الحق حدا وأتاح الفرصة لكل امرئ في معرفة بمقدار ما يختص به من مصادر الثروة العامة، صيانة للنظام الاجتماعي

لكن نحصي من يظن أن يمكنه بوصفها حقا إنما
هي غير محدودة. فهي في الواقع بحد حدودها في صنعها
نفسها وفي الهدف الذي تسعى له

إن من يرغب ثمرة مع هذه السبل يتصحح بها حاله ويكفي
حاجته ويعطي حر محسن لاستقرارها لا لسنده وليغيره
برولا عند هويته ومرونته الطرية

فلو نظرت إلى الشريعة الإسلامية لتستر حدود من طرف
تكريم و يعرف وحدانيتها تجاهها ما يسمى بـ حق
الاستعمال و المنع، فهي ترى في كل صرف لا نفع فيه تبذير
وهو إثم بالنصيحة. فالمنعة في نظر الشريعة هو نوع من الحلل
العقلي يحجر على كل مسلم به شرعا هذه الشريعة حريصة
على الاعتدال والقصد في كل شيء وأسوغ الطريق الوسط في
إنفاق الثروة لكونه يتفق تماما مع حكمة الشارع وطبيعة
الشريعة من حكمة الله في الخلق لأنه ونعمه على البشر"

"ومما لا مراء فيه أن الشريعة لم تدخل في جميع
التفاصيل، حسبها أن تدون عددا معينا من القضايا ذات
الطابع العدلي الباب فتبحثها وتشرحها. وقد قال
المشرعون الرومان: "إن قوة القانون هي في الأمر والنهي،
والسماح والعقاب" على أن الشريعة الإسلامية، ذات
الطابع الديني لم يفتها أن أضافت مبدأين قانونيين إلى
ما سبق ذكره. وهما: المقبولات والمستهجنات فإذا

سمعطي نفسه اعفدي من الشق الأول وأصعنا اليه سبدأين لحديين، ثم لديما أوحه حمسه بقانون اسائد بشكله تام

ن هده سمدئ لقانونية عنى تعدد أشكالها، تئول إلى عايه واحدة هي برفع الحرج (لمصلحة) لذلك فليس لهذا لقانون لالهي مصدر و لبشرى هدف إلا سعادة لبشر ورفاهه واعيس لنافذة لا يمكن ان تحطئ رؤية هده الغايه وان شق عليها ن توضحها لاول وهله

إن لقانون لسائد (لتشريعه) ومعناه بالعربية «نصريح الفوضه» هو نظام نصرورت سكنى ائتملاف المسرى الذي يهدف الى تيسير حاجات المشرية

إن شريعه الحميدة أبعت لقيود الصارمة والمحرمات المختلفه التي فرضتها شريعة موسى على اليهود، وسحب الرهبانيه المسيحية، وأعطت عنها الصادقة في مسايرة الطبيعه البشريه، والمرونه الى مستواها، و ستجابت إلى جميع حاجات الإنسان العملية في الحياة

يسروا ولا تعسروا، تلك هي التعاليم والاوامر التي كان النبي سمعها الى من رسل اليهم ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ (البقرة ٢٨٦)

ن للإسلام بعض الميل إلى التصوف. ولكن لا إلى الزهد بمعناه الداخلي. إنه لا يقر تعذيب النفس وإماتتها بالتقشف وسائر الوسائل الأخرى التي تضعف البدن، وتكبت الغرائز البشرية الطبيعية. إنه يحض المؤمن على التمتع بـ «الطيبات» التي أنعم الله بها عليه، شريطة أن يتبع الحدود ويخضع للسنة التي وردت في القرآن. وهي ليست بالكثيرة ولا بالصارمة.

إن الشريعة الإسلامية تحبذ كل نشاط عملي مجد، فهي تشجع الزراعة والتجارة وكل أنواع العمل، وتعزو أولئك الطفيليين الذين يعيشون على كواهل غيرهم، وتحتم على كل فرد أن ينفق على نفسه من كدحه وكسبه. ولا تحتقر أي عمل متى أغنى صاحبه عن غيره وكفاه ذل السؤال.

يقول «رينان» (١٨٢٣ - ١٨٩٢م) «الإسلام هو دين الإنسان، فروح الشريعة الإسلامية تتسم بطابع حي، هو إفساح أرحب المجالات للأعمال البشرية».

ولما كان الشرع الإسلامي يستهدف منفعة المجموع، فهو بجوهره شريعة تطورية، غير جامدة، خلاف الشريعة (الرومانية) من بعض الوجوه، ثم إنها علم «ما دامت تعتمد على المنطق الجدلي الديالكتي. وتستند إلى اللغة التي ليست جامدة. ولا تستند إلى مجرد العرف والعادة. والمدارس الفقهية الخمسة تتفق كلها على هذا الرأي فيقول

[illegible] المذهب الحنفي أن القاعدة [illegible] بحسب ما يسمى [illegible] الذي لا [illegible] التغيير [illegible] لا [illegible] [illegible] [illegible] كل ما يحدث في المجتمع [illegible] [illegible] وهي [illegible] بتغير الظروف والأحوال والمؤثرات [illegible] [illegible] والتغير [illegible] [illegible] المالكية مع الحنفية في هذه [illegible] [illegible] [illegible] الفقهاء والمشرعين [illegible] موضوع [illegible] [illegible] وهو الاستحسان [illegible] والمصالح [illegible] [illegible] في [illegible] [illegible]

[illegible] في [illegible] الفقهاء المسلمين [illegible] [illegible] هي شكل من أشكال [illegible] [illegible] [illegible] على [illegible] [illegible] المسلمين [illegible] فهو [illegible] يكون [illegible] الاستحسان والاستصلاح [illegible] [illegible] [illegible] [illegible] الشريعة [illegible] [illegible] لا [illegible] [illegible]

[illegible] الشريعة [illegible] على [illegible] العرف [illegible] بل [illegible] في كل [illegible] القاعدة [illegible] [illegible] الشريعة [illegible] كل [illegible] لا [illegible] لا [illegible]

« تلك هي الميزات التي تتسم بها الشريعة الإسلامية في كنه حقيقتها، قد تحرز على وضعها في أرفع مكان، وتقيدها أحق بمديح علماء القانون، وهو خليق بها.

ومحصل القول: إنها سمت حتى أصبح علينا أن نرسم وجه مقارنة بينها وبين قواعد وجزئيات القوانين الإقطاعية السائدة (بقصد في الغرب) أيام ازدهرت الشريعة الإسلامية

أما ما يفتقر إليه التشريع الإسلامي، فهو ما كانت تفتقر إليه جميع الشرائع التي سبقتها وعاصرتها وكثير من الشرائع التي لحقت بها، أعني وجود مسحة من الفوضى وعجز في التبويب والتنظيم تلك الأسباب التي أدت بالعرب إلى الضعف السياسي، وكانت في الوقت نفسه مصدر الضعف الذي تخلل نظمهم القانوني....»(١)

---

(١) سانتيلانا: القانون والمجتمع، كتاب: تراث الإسلام، ص٤٠٩، ٤٣١، ٤١١، ٤١٢، ٤٣٢، ٤٣٣، ٤٣٥، ٤٣٨، ٤٣٩، ٤٣٦، ٤٣٨، ٤١٦، ٤١٨، ٤١٣، ٤٣٨.

(٢)

شهادة العلامة شاخت

والسهادة الثانية (في هذا الكتاب) يقدمها واحد من علام المستشرقين الألمان، الذين ينسبوا إلى حب لمكتبة المرموقة في الثقافة العربية حجة في الدراسات الاستشراقية بالدوائر العربية وهو المستشرق العلامة «سحت - جوزيف shach J» (١٩٠٢ - ١٩٦٩م)

والذي شغل بعد تخرجه في جامعتي «برسلاو» و«شمرج» كرسي الأستاذية في جامعات «فرايبورج» سنة (١٩٢٧م) و«كونسبرج» سنة (١٩٣٢م)، و الجامعة المصرية» سنة (١٩٣٤م)، و أكسفورد» سنة (١٩٤٨م) و«الجزائر» سنة (١٩٥٢م)، و«ليدن» سنة (١٩٥٤م)، و«كولومبيا» سنة (١٩٥٧م). سنة (١٩٥٨م) كما شغل عضوية المجمع العلمي العربي بدمشق. وكثير من المجامع والجمعيات العلمية كما أشرف على مجلة الدراسات الإسلامية

وهو متخصص في الشريعة الإسلامية ومحقق لكثير من كتب الفقه الإسلامي ومترجم لكثير منها إلى الألمانية، مع كتابة الدراسات والتعليقات عليها بالألمانية والإنجليزية والفرنسية . وله كذلك مؤلفات في نشأة الفقه الإسلامي . وتاريخه وفي نصوص حكم السيف

الإسلامية على المذهب الحنفي . وفي علم فلسفة القانون الإسلامي وفي علم الكلام الإسلامي كما حقق ونشر كثيرا من النصوص التراثية الإسلامية في الطب والتاريخ .

يشهد «شاخت» شهادة لتعبير الحجة على

- تميز الإسلام بأنه دين ودولة

تميز الشريعة الإسلامية والفقه الإسلامي بالشمول

الوحدة والتنوع في الفقه الإسلامي .

أن سلطة القانون الإسلامي هي فوق سلطة «الدولة»

قود تأثيرات الفقه الإسلامي في الثقافات القانونية التي جاورته أو اتصلت به أو انفتحت عليه ..

يشهد «شاخت» على ذلك كله فيقول

إن النزاع بين الدين والدولة اتخذ أشكالا مختلفة

ففي المسيحية كان هناك صراع من أجل السلطة السياسية من جانب هيئة كنسية منظمة تنظيما متدرجا ومتماسكا ينتهي إلى رياسة عليا، وكان القانون الكنسي احد أسلحتها السياسية

أما في الإسلام، فلم يكن هناك قط ما يشبه «كنيسة». والشريعة الإسلامية لم تستند مطلقا الى تأييد قوة منظمة، وعلى ذلك فلم يحدث قط في الإسلام اختبار حقيقي للقوى

حيث هو دين يسعى أن ينظم الناحية القانونية في حياة المسلمين فإنه لا ينكره أحد.

ومن أهم ما أورثه الإسلام للعالم المعاصر قانونه المدني، الذي يسمى «بالشريعة».

والشريعة الإسلامية تختلف اختلافا واضحا عن جميع أشكال القانون، إنها قانون فريد في بابه. إن الشريعة الإسلامية هي جملة الأوامر الإلهية التي تنظم حياة كل مسلم من جميع وجوهها وهي تشتمل على أحكام خاصة بالعبادات والشعائر الدينية، كما تشتمل على قواعد سياسية قانونية (بالمعنى المحدود) وعلى تفاصيل آداب الطهارة وصورة التحية وآداب الأكل وعيادة المرضى.

والشريعة الإسلامية هي أبرز ما يميز سلوك الحياة الإسلامية، وهي لب الإسلام ولبابه.

والخصيصة الرئيسية التي تجعل التشريع الإسلامي على ما هو عليه، وتضمن وحدته مع كل ما فيه من تنوع، هي نظرته لجميع أفعال البشر وعلاقتهم بعضهم ببعض. بما في ذلك ما يعده قانونيا (jegal) على أساس المفهومات التالية: الواجب، والمندوب، والمتروك، والمكروه، والمحظور. وأدمج القانون بمعناه الدقيق في هذا النظام من الواجبات الدينية إدماجا تاما

داخل النظام، فإنها لم تتمثل تمثلا كاملا. كما أن العلاقات القانونية بين الناس لم تتحدد تحديدا تاما وتوضع في صورة واجبات دينية وأخلاقية. وقد احتفظ ميدان القانون بطابع فني خاص به أيضا وأمكن للاستدلالات الفقهية أن تسير في طريقها الخاص. ونتيجة لذلك، فهناك تمييز واضح بين المجال الديني المحض والمجال القانوني بمعناه الخاص الحقيقي.

وبالرغم من أن التشريع الإسلامي قانون ديني، فإنه من حيث الجوهر لا يعارض العقل بأي وجه من الوجوه. فهو لم ينشأ من عملية وحي متواصل فوق العقل، وإنما نشأ التشريع الإسلامي من منهج عقلاني في فهم النصوص وتفسيرها؛ ومن هنا اكتسب مظهرا عقليا مدرسيا (scholastic) إن قواعد التشريع الإسلامي إنما تصدق بفضل وجودها فقط لا من أجل عقلانيتها (المجردة) وهي لا تدعو إلى مراعاة النص الحرفي للأحكام دون روحها.

والتشريع الإسلامي ذو منهج منظم، وهو يؤلف مذهبا متماسكا، ونظمه المتعددة مرتبطة بعضها مع بعض.

وتتجلى في الشريعة الإسلامية نموذج بليغ لما يمكن أن يسمى «قانون الفقهاء» (jurist's law) فقد أنشأ هذا القانون، وطوره فقهاء متخصصون أتقياء بجهود خاصة.

والشريعة الإسلامية تقدم مثالا لظاهرة فريدة تقدم

فيها العلم القانوني، لا الدولة، دور المشرع، ويكون فيها لمؤلفات العلماء قوة القانون. وكان هذا يعتمد على توافر شرطين هما:

١- أن العلم القانوني كان هو الضامن لاستقرار الدولة واستمرارها.

٢- وأن سلطة الدولة حلت محلها سلطة أخرى (هي سلطة الفقه والفقهاء)، وكانت هذه السلطة من العلو بحيث فرضت نفسها على الحاكم والمحكوم.

وقد تحقق الشرط الأول بفضل مبدأ الإجماع الذي له السلطة العليا بين أصول الفقه الإسلامي. وحقق الشرط الثاني القول بأن أساس الشريعة الإسلامية هو حكم الله.

وفيما يتعلق بالشيعة بصفة خاصة، فربما يظن أن نظريتهم السياسية كان لا بد لها من أن تؤدي إلى وضع نظرية (في الفقه) مختلفة في الجوهر عن غيرها، ولكن ذلك لم يحدث، ذلك لأن فقههم الوضعي (الاجتهاد) شأنه شأن فقه الخوارج، إنما هو على اتصال وثيق بفقه السنة، كما أن الجماعات التي أخذت بهذه المذاهب على اتصال وثيق أيضا بعضهم مع بعض اجتماعيا وثقافيا في معظم العصور. وسنعرض للتشريع الفقهي الإسلامي لدى

أصحاب هذه المذاهب) لا في تعديلات ظاهرة بعض الشيء كانت تفضيل مذهبهم لدية لحوصه

ان التشريع الإسلامي قد أثر تأثير عميق في جميع فروع القانون في إقليم الكرج (جمهورية جورجيا)، وذلك خلال فترة تمتد من عصر السلاجقة إلى عصر الصفويين ٤٩٤هـ - ١١٠٠م - ٩٠٦هـ - ١٥٠٠م). ثم إن هناك تأثير للتشريع الإسلامي على قوانين أهل الديانات الأخرى، من اليهود والنصارى الذين شملهم تسامح الإسلام وعاشوا في الدولة الإسلامية

فبالنسبة للجانب اليهودي يبدو أن موسى بن ميمون (ت ٦٠١هـ - ١٢٠٤م) قد تأثر ببعض ملامح المؤلفات الإسلامية في تقسيمه للمادة الفقهية في مدونته بعنوان مشنه توراة (Mishnah Torah) وهو عمل لم يسبقه إلى مثله أحد من اليهود. ويقول نصا في تعقيبه على المشنة لدى كتبه بالعربية (وذلك في مقدمته لما سمي بالفصول الثمانية) يقول: إنه بالإضافة إلى حبر التلمود والمدارش قد أفاد من الفلاسفة المتقدمين والمتأخرين وكثير غيرهم. وإنه ينبغي على المرء أن يقبل الحقيقة من أي إنسان يقولها لكن هذه المسألة كلها لم تبحث بحثا كاملا حتى الآن

ومن جهة أخرى فإنه بالنسبة للجانب المسيحي، فليس هناك شك في أن الفريقين الكبيرين من الكنيسة المسيحية الشرقية، وهم اليعاقبة والمونوفيزية (Monphysites) (أصحاب الطبيعة الواحدة) والنسطوريون (Nestorians) لم يترددوا في الاقتباس بحرية من قواعد التشريع الإسلامي [68]

[68] [illegible] الإسلامية [illegible] ص ١١، ٢، ٩، ١٥، ١١، ٢٤، ٣٥، ٣٤، ٢١، ٢٩ [illegible] الإسلام [illegible] الشريعة [illegible] مصر [illegible] (١٩٦٨م)

(٣)

شهادة برنارد لويس

والشهادة الثالثة هي للمستشرق الشهير برنارد لويس (Lewis,B) (١٩١٦م) وهو مستشرق معاصر إنجليزي الأصل أمريكي الجنسية والإقامة حاليا. تخرج في جامعتي لندن وباريس، وعمل أستاذا للتاريخ الإسلامي في جامعات لندن وكاليفورنيا. وهو صاحب الدراسات الكثيرة في الفرق الإسلامية، وخاصة الإسماعيلية، وفي التاريخ التركي الحديث، وفي السياسة والدبلوماسية العربية الحديثة، وفي التاريخ الاقتصادي للشرق الإسلامي، وفي المقارنة بين اليهودية والإسلام.

وبالرغم من أن هذا المستشرق الكبير برنارد لويس يهودي الأصل، ومناصر للصهيونية، وشديد العداء والافتراء على المسلمين ودينهم وقضاياهم الأرضية والقومية، وشديد الاستعداء لصانع القرار الأمريكي ضد الإسلام وأمته، فإن ذلك كله لم يمنعه من أن يشهد للإسلام بالتميز بوصفه دينا ودولة، وبالسماحة في الانتشار السلمي، وبالعدل الذي تميز به الحكم الإسلامي مع الشعوب غير المسلمة، بل والشهادة على الطابع الصليبي للحملات الاستعمارية التي شنتها أوروبا في العالم الإسلامي منذ اقتلاع الإسلام من الأندلس أواخر القرن الخامس عشر الميلادي.

سبهد «برنارد لويس» على ذلك كله، فيقول

بقد نادى مؤسس المسيحية أتباعه أن أعطوا ما لقيصر لقيصر وما لله لله؛

ما مؤسس الإسلام فقد جعل من نفسه قسطنطين، (٢٧٤ - ٣٣٧م) ففي حياته أصبح المسلمون جماعة سياسية ودينية كان الرسول سيدها المطلق، يحكم أرضا وشعبا، ويقضي بين الناس ويجمع الضرائب، ويقود الجيوش، ويسير الدبلوماسية ويخوض الحرب»

ولقد كانت الخلافة نظام حكم حدده الإسلام وحل لدين مكان القرابة كأساس للهوية الجماعية والولاء، كما حل محل العرف والأعراف بوصفه قانون الجماعة

وبينما كان شيخ القبيلة يحتل منصب الرئاسة على أساس الموافقة الطوعية للقبيلة، وهي موافقة يمكن إلغاؤها، فإن محمدا ﷺ جاء إلى الحكم على أساس من الاختيار الديني المطلق، والسلطة ليست من الطرف المحكوم، بل من الله

ومن الأمور التي تسترعي النظر أنه بينما تتحدث السياسة العربية عن «المدينة» و«التاج» و«الدولة» أو «الشعب» كمصدر للسلطة، فإن الإسلام التقليدي يعد الله هو المصدر النهائي للسلطة، فالجماعة من الله، والممتلكات

مال الله. وكذلك الحال بالنسبة للجيش والغنائم الحربية، ومن اعتدوها فهم بالطبع «أعداء الله»

وبما أنه لا يوجد إلا إله واحد وقانون إلهي واحد، يجب أن يكون هناك حاكم أعلى واحد على الأرض يمثل الله ويطبق القانون

ففي عهد الخلفاء الراشدين نجد أن الحكومة هي المؤسسة الدينية، ولا يوجد غيرها

لقد وجد الغزاة الجرمان في الغرب دولة وديانة «سابقين لهم»: هما الإمبراطورية الرومانية والكنيسة المسيحية، وكل منهما قد تطور في اتجاهات مختلفة، بدءاً من أصول متباينة، واحتفظ كل منهما بمؤسساته وطبقاته الحاكمة وقانونه، وقد اعترف الغزاة بكليهما وقبلوهما وغيروا من هدفهم وحاجاتهم الخاصة بهم في إطار البنية المزدوجة للكيان الروماني والمسيحي

أما العرب الفاتحون في الشرق الأوسط وشمالي إفريقيا، فقد جاءوا بدينهم، وأوجدوا نظام حكم خاص بهم، لا فرق فيه بين الكنيسة والدولة لكونهما شيئاً واحداً والرئيس المطلق لهذا النظام هو الخليفة والواقع أنه لم يكن يوجد في المفهوم الإسلامي مقابل حقيقي لمثل تلك الأضداد: ديني ودنيوي، روحي وزمني، كهنوتي وعلماني، وحتى

المقدس و لمدنس وتم بظهر مثل هذا بصدد لا بعد وقت طويل جدا. حين استحدثت كلمات جديدة لتعبير عن مفاهيم جديدة أما في العهد لأول للإسلام. فلم تكن لثنائية تي تدل عليها تلك لكلمات معروفة، لذا لم يكن هنالك من كلمات للتعبير عنها

ولقد قيل إن خليفة يجمع في و حد بين شخصي لبابا و لإمبراطور. على أن لتشبيه مضلل. فلم تكن للخليفة وظائف بابوية أو حتى كهنوتية. ولم يكن يدعي لتعليم لرسمي رجل الدين من لعصمة. ولم يكن و جبه عرض الدين ولا تفسيره، بل كان واجبه هو دعمه وحمايته وإيجاد الظروف التي من شأنها أن تمكن لناس من العيش حياة إسلامية صالحة في هذه لدنيا، وبذلك يعدون أنفسهم للحياة الآخرة ولتحقيق ذلك يتوجب عليه أن يحافظ على لقانون و لنظام ضمن حدود الإسلام وأن يدافع عن هذه الحدود ضد لهجمات الخارجية، وكان من واجبه إذا أمكنه ذلك توسيع تلك لحدود، حتى تصل العالم كله، عندما يحين الوقت إلى أعتاق الإسلام

والواقع أن لا معنى عن أن نرى شيئا لوسطي. لم يكن لمسلمين بل كان الإسلام د نه

فقد كان المتصوفون والمشرون المحاربون، ومعظمهم من الأتراك، يتنقلون بين القبائل التي لم يتم إخضاعها فيما

ورد سهر ، ستشروں لدى اسسيط ، دين لكماح ، لدى ردهر
على لحدود بين لإسلام و ترثية

وحس قال « ريســرد بوسر R Knolles » وهو مؤرخ
لاتر ب في عصر املكة ليزابيت (١٥٣٣ - ١٦٠٣م) بان
الإمبراطورية التركيه هي ارعب تحلي للعالم » ، كان يعبر
بذلك عن لشعور بعدم في ووروبا . ففي حرية بصراع بين
أوروبا والأترك كان هنت ترفع وبرمت من كلا تحانبين
وكن الأترك هم لحاب الأكثر تسامحا

وعدما سهى الحكم اعتماني في اوروبا ، كانت لامم
المسيحيه التي حكمها لعثمانيون حلال عدة قرون لا تر ت
هاك نعاتهـا وتقافاتهـا ، ودياناتهـا وحتى . لى حد ما
بمؤسساتها ، كل هده الأمور بقت سليمه رحهرة لاستناف
وحودها لوطني لمستقل امن اسباب وحقليه فليس فيهم
اليوم مسلمون و ناطقون باللغة العربيه .

إن الفلاحين في المنطق التي غزيت (من الاترك) قد
تمتعوا . بدورهم ، بتحسن كبير في اوضاعهم ، وقد حلبت
الحكومة الإمبراطوريه العثمانية الوحدة والأمن مكان
الصراع والفوضى ، كما ترتبت على الغزو نتائج حتمعية
واقتصاديه مهمه

ففي خلال حروب الفتح فقد قضى على قسم كبير من الارستقراطية الوراثية القديمة مالكة الأراضي ومصادرة أملاكها التي لم يعد لها مالك على شكل قطاعات للجنود العثمانيين. على أن الإقطاعات في النظام العثماني كانت بصورة أساسية منحة تعطي لصاحبها الحق في تحصيل العائدات. وكانت من الناحية النظرية على الأقل ممتدة طول الحياة أو لفترة اقصر. ولكن كل الحق فيها يسقط عندما يتوقف صاحبها عن القيام بالخدمة العسكرية ولم تكن تنطوي على حقوق وراثية ولا سيادة قضائية من جهة أخرى كان الفلاحون يتمتعون بنوع من الأملاك الوراثية للأرض. وكان النظام العثماني يحمي هذا التملك من التفتيت ومن تركيز الملكية معا وكان الفلاحون يتمتعون بقدر من الحرية في حقولهم أكبر بكثير من ذي قبل. وكانت الضرائب التي يدفعونها تقدر بصورة محققة، وتجمع بطريقة إنسانية، وذلك بالمقارنة بما كان يجري في الأنظمة الحكم السابقة والمجاورة

هذا الأمن والازدهار كان لهما دور كبير في جعل الفلاحين يقبلون النواحي الأخرى الأقل حداثية في الحكم العثماني. وهما يفسران إلى حد كبير الهدوء الطويل لدى سواد

ولايات العثمانية حتى تفجرت الأفكار القومية التي جاءت من الغرب

وحتى عملية « الدوشرمة Deushrime » وهي عملية الجمع القسري للأولاد من بين الفلاحين المسيحيين من أجل تجنيدهم في الجيش العثماني وفي خدمة الدولة لم تخل من نوع إيجابية فبهذه الوسيلة، كان الفقراء القرويين تمكنوا يستطيع أن يرتقي إلى أعلى المراكز وأكثرها نفوذا في الإمبراطورية (العثمانية) وقد ارتقى الكثيرون بالفعل، وأحضروا أسرهم معهم وهو شكل من أشكال المرونة الاجتماعية كان مستحيلا في المجتمعات الأرستقراطية للعالم المعاصر للعثمانيين

كانت الإمبراطورية العثمانية، بالإضافة إلى كونها عدوا خطرا ذات سحر قوي كان المسيحيون والطموحون يتحمسون إليها للتعرض لما يتاح لهم في ظل التسامح العثماني وكان الفلاحون المسحوقون يتطلعون بأمل إلى أعداء أسيادهم وحتى « مارتن لوثر » (١٤٨٣ - ١٥٤٦م) في مؤلفه المسمى « النصح بالصلاة ضد الأتراك » الذي نشر سنة (١٥٤١م) قد حذر بأن الفقراء المضطهدين على يد الأمراء وأصحاب الأملاك والمواطنين الجشعين، يفضلون

على الأرجح العيش في ظل الأسرة الملاحم المسيحيين من أمثال هؤلاء

صحيح أن فرسان أوروبا قد حاربوا بشجاعة ضد الأتراك. لكن فلاحيهم لم يكونوا يهتمون بانتصارهم وحتى المدافعون عن النظام القائم كانوا يعجبون بالفعالية السياسية والعسكرية للإمبراطورية التركية. وكان جزء كبير من الأدب المعبر الذي نشر في أوروبا حول التهديد التركي، يهتم بمزايا النظام التركي وبحكمته بكامله في تقليده

عندما وصل «فاسكو دا جاما» (١٤٦٩ - ١٥٢٤م) إلى «كلكوت» قال إنه أتى يبحث عن المسيحيين والتوابل. وكان هذا تلخيصا صادقا للدوافع التي أرسلت البرتغاليين إلى آسيا. كما أنه يلخص، مع بعض التعديل، موقفهم من الجهاد الذي كانت رحلات البرتغاليين، بمعنى من المعاني، حربا متأخرة عليه. كان الشعور الديني قويا لدى البرتغاليين الذين ذهبوا إلى الشرق. فكانت الرحلات الاستكشافية بعد فصلا دينيا. أي استمرارا للحملة ضد البلاد المحتلة والحروب الصليبية وكفاحا ضد العدو الإسلامي نفسه

وعندما وصل البرتغاليون إلى آسيا الشرقية كان خصومهم هم القوى الإسلامية لمصر وتركيا وفارس والهند وكانت هيمنة هذه القوى هي التي أطاحوا بها

وبعد البرتغاليين جاء الإسبان والفرنسيون والإنكليز والهولنديون، وقد اقتسموا فيما بينهم السيطرة والرؤية الغربية على إفريقيا وحولوها اسبـ داف حتى القرن العشرين [69]

---

٦٩) بر ـ ث بيسر: السياسة والحرب، دراسة منشورة بكتاب تراث الإسلام، القسم الأول، ص ٢٢٩، ٢٣٠، ٢٣٢، ٢٣٤، ٢٣٥، ٢٣٣، ٢٧٩، ٢٨٦، ٢٨٩، ٢٩١، ٢٩٢، تصنيف شاخت، بوزورث، ترجمة د. محمد زهير السمهوري، تعليق وتحقيق د. شاكر مصطفى، مراجعة د. فؤاد زكريا، طبعة الكويت، سلسلة عالم المعرفة، سنة ١٩٧٨م.

(٤)

شهادة مارسيل بوازار

والشهادة الرابعة هي للمستشرق السويسري "مارسيل بوازار" الذي يشهد للإسلام بالتميز بوصفه دينا ودولة معا وللقانون الإسلامي بالتميز عن القانون الوضعي العلماني. سواء في المصدر، أو في المقاصد الأمر الذي يعني تميز المنظومة القانونية في الحضارة الإسلامية، وخطر وخطأ محاولات علمنة القانون وحركة الحداثة والاجتماع في عالم الإسلام بما في ذلك من مصادمة للتصورات الفلسفية للإسلام إزاء الكون والمكانة للإنسان في هذا الوجود كما يحددها الإسلام

يشهد "مارسيل بوازار" على هذا التميز والامتياز الإسلامي. فيقول:

"ومن المفيد أن نذكر فرقا جوهريا بين الشريعة الإسلامية والتشريع الأوروبي الحديث سواء في مصدريهما المختلفين أو في أهدافهما النهائية

فمصدر القانون في الديمقراطية الغربية هو إرادة الشعب



وهدفه النظام ويعمل داخل المجتمع

في الإسلام، فالقانون صادر عن الله

وبناء عليه نصير الهدف الأساسي الذي ينشده المؤمن

هو البحث عن مرضاة الله، بالحصول على الوحي، و تطبيقه

فالسلطة في الإسلام تعرض عدد من المعايير الأخلاقية

بينما يسمح في المجتمع الغربي بأن يختار الناس المعايير

حسب الاحتياجات والرغبات السائدة في عصرهم

---

٧) ... الإسلامي ... القاهرة سنة ١٩٩٣م ... ص٣٧، طبعة القاهرة سنة ١٤٢٣هـ ٢٠٠٣م

(٥)

شهادة لامبتون

وعلى هذا الدرب درب تمييز الإسلام بين الدين والدولة، ومنهج السلطة المختلفة وتمييزها مع ذلك بالرفض للكهانة التي عرفتها الدولة الكنسية الأوروبية على هذا الدرب تأتي الشهادة الحاسمة للمستشرق «لامبتون» (ا. ك. س) الذي يقول:

«إن الدين في الإسلام لم يكن منفصلاً عن السياسة، كما أن السياسة لم تكن منفصلة عن الأخلاق ولقد تطورت في الدولة الإسلامية، بالتدريج مجموعة من الأفكار السياسية الإسلامية.

* إن سلطة الإمام كانت سلطة تنفيذية تهدف إلى تطبيق الشريعة الإسلامية والدفاع عنها، فقد ورث عن الرسول ﷺ سلطاته القضائية والتنفيذية فحسب، أما السلطة التشريعية، فلم يكن له منها شيء، بل إن سلطته في الاجتهاد كانت محدودة، إذ إن هذه السلطة، فيما يبدو، قد آلت إلى الأمة في مجموعها باعتبارها من خلال الإجماع تميل إلى حصرها في العلماء»

---

(١) لامبتون: الفكر السياسي عند المسلمين [illegible] ص ٣٢، ٤٩ [illegible] محمد [illegible] طبعة الكويت سنة ١٩٧٨م

(٦)

خلاصة في خاتمة

ر د حارب في حدود هده لسهادات ان نقدم حلاصة
لما كتبه هؤلاء المستشرقون الكبار عن

طبيعة السلطة في الدولة الإسلامية

وتميزها عن جميع السلطات في الدول التي عرفتها
الحضارات الأخرى

وعن القانون الإسلامي، وفقه الشريعة الإسلامية
وتميزه عن نظائره الأخرى من حيث الفلسفة والمقاصد
قبل تقديم هنا حلاصة هده الشهادات نصوص أصحابها
في هده الخاتمة لهده الشهادات

- ١ -

"ان رئيس المجتمع الإسلامي يعمل بوصفه نائب دوله
أو رئيس حكومة أو بوصفه خليفة الرسول وخليفة
الرسول ما هو إلا راعي رسالة الروحية وإن كان يؤثر عنهم
في الحقيقة صفة النيابة أو الوكالة لتنفيذ رسالته، ولحماية
المصالح الدينية والدنيوية للمجتمع الإسلامي) وليس
في هده الأمور ما يضفي على الخليفة صفة القداسة، ويسمه
بميسم الكهنوت كما دعت بهده التسمية هيئات حاكمة
معينة في تاريخ العالم

إن سلطة الخليفة كرئيس ديني لا يمكن أن تعد سلطة حربية أو بابوية مثلا. فهو مجرد تماما من سلطة الكهنوت لأن حكومة المسلمين ما كانت في أي زمن أو ظرف حكومة دينية، ولا يوجد فيها تعاقب رسولي والأمة هي سلطانه سوى نبيين سيد (رئيس) إنه وكيل جماعة المسلمين وعماله يستمد قوتهم وقانونيتها من مبدأ القانون. إن الأمير يجب أن يضع نصب عينيه مصلحة المجموع، وكما يجب أن يقدم الوكيل حسابا صحيحا عن تجارة لموكله وسيده كذلك يحتم على الخليفة أن يسترشد بالله

والخليفة لا يملك أي مقدرة على تجاوز القانون، بل هو مضطر إلى تطبيقه بحذافيره

إن الرابطة القانونية الموجودة بين الخليفة والشعب تبقى متينة وثيقة العرى ما دام الخليفة صالحا يقوم بواجبه في حماية المجتمع الإسلامي فإذا لم يعد أهلا لمنح شعبه ما يريده منه، بطل سلطانه، وفسخ العقد شرعا بين المتعاقدين."

- ٢ -

"إن اختيار رئيس المجتمع الإسلامي لا يمكن تركه للظروف والصدف، ولا لأعمال العنف والطغيان، بل يجب أن يجري انتقاؤه بعد التفكير الملي والتأمل الحكيم الصحيح. ويقوم بانتقائه تلك الصفوة المختارة من أهل الرأي، الذين

هـم وحدهـم يقدرون أن المرشح للخلافة صالح لملء هذا المنصب الجليل أم لا.

فلا يمكن أن يكون مجموع المنتخبين أمة الإسلام كلها بل المنتخبون هم وحدهم الذين عرفوا بعلمهم، ومنزلتهم وتجربتهم في أمور الدين والدنيا، وبأخلاقهم المتينة. هؤلاء وحدهم يصلحون لأن يكونوا المحكمين في هذا الشأن والبهم أي إلى رجال السيف والقلم يرجع أمر انتخاب الإمام، وأعني بهم مشاهير الشخصيات المدنية والعسكرية أصحاب الحل والعقد. هؤلاء مخولون، باسم المجتمع كله. أن يشترطوا بالاشتراك شكل الروابط أو الواجبات التي تشتق منه سلطة الأمير. ويعينون مقدار الطاعة الواجبة له من الرعية.

- ٢ -

وإن الشريعة الإسلامية ذات حدود مرسومة والمبادئ أساسية، لا يمكن إرجاعها أو نسبتها إلى شرائعنا وقوانيننا (الغربية) لأنها شريعة دينية تغاير أفكارنا أصلا. فالفقه والقانون بالنسبة لنا (نحن الغربيين) هو مجموعة من القواعد السائدة التي أقرها الشعب، إما رأسا وإما عن طريق ممثليه، وسلطانه مستمد من الإرادة والإدراك وأخلاق البشر وعاداتهم

لأن التفسير الإسلامي للقانون هو خلاف ذلك.

فكل مسائل الفقه الإسلامي مرجعها الأخير علم الكلام (اللاهوت)، وهي تستند إلى الإيمان. فقوة السياسة والأخلاق والآداب هي التي ترسم حدود القانون في كل مسألة من المسائل، والخضوع لهذا القانون إنما هو واجب اجتماعي وفرض ديني في الوقت نفسه، ومن ينتهك حرمته أو يشق عصا الطاعة عليه لا يأثم تجاه السلطات الاجتماعية فقط، بل ويقترف خطيئة دينية أيضاً، والشريعة الإسلامية توزع العدالة على الجميع بلا تخصيص.

* "وإن المستوى الأخلاقي الرفيع لدى معظم الجانب الأكبر من الشريعة الإسلامية قد عمل على تطوير ورفاهية مفاهيمنا العصرية. وهنا يكمن فضل هذه الشريعة الباقية على مر الدهر".

* "ومع هذا، فإن شريعة الإسلام تفسح أوسع المجالات لتحكيم الإرادة البشرية، وتعلق أعظم الأهمية على القصد القانوني، لا على نص القانون الحرفي".

* "وإن المرجعية الدينية للشريعة الإسلامية لم تعق تطور القانون الإسلامي، فهي بجوهرها شريعة تطورية غير جامدة، تتغير بتغير الظروف والأحوال". ويقولون أيضاً: "في هذه الشريعة فرصة للتبديل والتغيير نظراً للاستعمال والتطبيق".

ولم تكن للسلطة عصمة في نظر الفقهاء المسلمين معروفة ومحددة. إنما هي شكل من أشكال القواعد غير المكتوبة التي تكفل لها القدرة على صياغة الحدود وتبديلها وتحويرها "ما رآه المسلمون حسنا فهو عند الله حسن". فعندما يكون الاستحسان (الاستعمال) دائما موافقا للنظام العام غير مخالف للأخلاق الحميدة وغير مضاد للقواعد الشريعة العامة، كان له إذ ذاك قوة القانون. لأن كل الجزاء المحتمل له

* والفرق بين حقوق الله وحقوق العباد ليس فيه من معنى أكثر من الفرق بين القانون العام والقانون الخاص. وللفكرة الدينية بلا ريب أثر عظيم، ولكن ليس بالمقدار الذي يظنه المرء. فهذا التأثير مستمد من الصبغة الأخلاقية التي تسود القانون، أي من العلاقة التي تقترب غالبا من الترجمة بين القواعد القانونية والتعاليم الأخلاقية ترجمة تامة

وكل تصرف أو عقد يضفي فيه المشرع علاقة قانونية ذات صبغة أخلاقية فهو أسمى درجة من أن يكون محض منفعة

وليس هذا التشريع الإسلامي، إلا هو مصدر ويسري هدفها الإسعاد للبشر ورفاهه. لقد ألغت الشريعة الإسلامية القيود الصارمة والمحرمات المجحفة التي فرضتها شريعة موسى على اليهود، ونسخت الرهبانية المسيحية، وعلت رغبتها الصادقة في مسايرة الصبغة البشرية والنزول إلى مستواها، واستجابت لجميع حاجات الإنسان العملية في الحياة "

- ٤ -

"ومن قواعد التشريع الإسلامي وبعضه لمدعوقه هي الحرية

ولقد وصل الفقهاء في الحرية إلى نتيجتين

١ نحد لحرية حدودها في طبيعتها نفسها، لأن الحرية المصدقة معناها فناء المشروعه، والحدود التي تقف عندها الحرية هي الشريعة والقواعد المعنويه

٢ وليس في هذه الحدود تسلط وعسر، لأن معانيه لمتوحده من فرصتها هي الجمعية وصلاح بعضها من يستطيع الفرد او المجموع أن يحيا منها تحت الجمعية التي هي اصل محدودة ومقيده

ولما كان الفرد هو خليفة الله في ارضه. فقد وهبه خالقه ملكات تدرك الحقوق، وأسماها حق المرء بوصفه فرد في السلامه والحرية فالحرية هي الحق الطبيعي لكل مخلوق بشري، أما الرق فهو استثناء لتلك القاعده

فللمرء أن يقتني ما يشتهي، ويصنع بماله ما يريد، لأن متاع الدنيا جميعه خلق لاستعمال البشر وانتفاعه. ولكن الله، مقرر حق الملكية والحيازة، وضع لهذا الحق حداً، وأتاح الفرصة لكل امرئ في معرفة المقدار المخصص له من مصادر الثروة العامة. صيانة للنظام الاجتماعي.

فالشريعة الإسلامية حريصة على الاعتدال والقسط في

كل شيء. وإنارة الطريق للوسط في نطاق المشروع. لكونه يتفق تماما مع حكمة المشرع ووظيفة الشريعة من حكمة الله في العدل لأنه رحمة على البشر.

وهذا يحرز على وضع الشريعة الإسلامية في أرفع مكان، ونقلدها أجل مديح علماء القانون ... وهو حقيق بها ...»

(من شهادة «سانتيلانا»).

- ٥ -

«ومن المفيد أن نذكر فرقا جوهريا بين الشريعة الإسلامية والتشريع الأوروبي الحديث، سواء في مصدريهما المختلفين أو في أهدافهما النهائية.

فمصدر القانون في الديمقراطية الغربية هو إرادة الشعب ... وهدفه النظام والعدل داخل المجتمع ...

أما في الإسلام: فالقانون صادر عن الله، وبناء عليه يصير الهدف الأساسي لدى نشدة المؤمن هو البحث عن التقرب إلى الله باحترام الوحي، والتقيد به ... فالسلطة في الإسلام تفرض عددا من المعايير الأخلاقية ... بينما يسمح في الطابع الغربي، بأن يختار بعض المعايير حسب الاحتياجات والرغبات السائدة في عصرهم»

من شهادة «مارسيل بوازار»

٦

* «لقد عرفت المسيحية الصراع بين الدين والدولة . وكان هناك صراع من جانب الكنيسة من أجل السلطة السياسية

وكان الحرمان الكنسي أحد أسلحة السياسة للكنيسة في هذا الصراع

أما في الإسلام، فلم يكن هناك قط ما يشبه «كنيسة» والشريعة الإسلامية لم تعتمد مطلقا على تأييد قوة منظمة. وعلى ذلك فلم ينشأ قط في الإسلام صراع حقيقي بين الدين والدولة ... ومن المبدأ القائل بأن الإسلام من حيث هو دين سعى أن يغطي الساحة القانونية في حياة المسلمين ... لا يتحداه أحد»

- ٧

* ومن أهم ما أورثه الإسلام للعالم المتحضر قانونه الديني «الشريعة»

والشريعة الإسلامية تختلف اختلافا واضحا عن جميع أشكال القانون ... بها قانون فريد في نوعه ... الشريعة الإسلامية هي جميع الأوامر الإلهية التي تنظم حياة المسلم من جميع وجوهها وهي تشتمل على أحكام خاصة بالعادات والشعائر الدينية، كما تشتمل على قواعد

سبـسـه وى بوبـة . وعمى بعـصبى د ب الطهارة وصور لنحة
ر د ب لاكن . وعبـدده المرصى ومـع دلك ، فهناك تمييز
واضح بين امحال لدسى محـسص ر لمحال بقانوبى ممعدد
احوص لخصفى

ولسرىعه لإسلاميه هى ابـرر م بمير أسلوب لحياه
لإسلاميه ، وهى لـب الإسلام ولبابه

* وبرعم من أب التشريع لإسلامى قانوب ديبى ، فإنه من
حيث الحوهر لا يعارض لعقل باى وحه من الوجوه ، فهو سم
سساس عمية وحى متواصل فوق لعقل ، وإنما سسا التشريع
الإسلامى من منهـج عقلانى فى فهم لنصوص وتفسيرها
ومن هنا كتسـب مظهرا عقليـا مميزـا ، وقواعد لتشـريع
لإسـلامى لا يدعو لـى مراعاة لـنص حرفـى للأحكام دون
روحها

ونحلى فى السريعة الإسلامية نموذج سبع لما يمكن أن
يسمى قانون لفقهاء ، فقد نشـأ هـذا القانـون وطوره فقهاء
متخصصون أكفياء بجهود خاصة .

* إن التشريع لإسلامى يقدم مثلا لظاهرة فريدة يقوم فيها
العلم لقانونى ، لا الدولة ، بدور المشـرع ، ويكون لمؤلفات
العلماء قوة القانون

ولقد اعتمد هذا على شرطين

وبهما أن المعلم القانوني كان هو الضامن لاستقرار دائه واستمراره

وثانيهما أن سلطة الدولة حلت محلها سلطة أخرى (هي سلطة الفقه والفقهاء) وكانت هذه السلطة من العلو بحيث فرضت نفسها على الحاكم والمحكوم

وقد تحقق الشرط الأول متصلا بمبدأ الإجماع لدى الاسلطة العليا بين أصول الفقه الإسلامي . وحقق الشرط الثاني القول بأن أساس الشريعة الإسلامية هو حكم الله

* ولقد أثر التشريع الإسلامي تأثير عميقا في جميع فروع القانون كما أثر على قوانين أهل الديانات الأخرى من اليهود والنصارى الذين شملهم تسامح الإسلام ، وعاشوا في الدولة الإسلامية فلم يترددوا في الاقتباس بحرية من قواعد التشريع الإسلامي .

(من شهادة « شاخت »)

٨ -

* « إن الدين ، في الإسلام ، لم يكن منفصلا عن السياسة ، كما أن السياسة لم تكن منفصلة عن الأخلاق ولقد تبلورت في الدولة الإسلامية بالتدريج مجموعة من الأفكار السياسية الإسلامية

إن سلطة الإمام كانت سلطة تفويضا يهدف إلى تطبيق الشريعة الإسلامية والدفاع عنها. فقد كانت للإمام على الرسولية السلطتين القضائية والتنفيذية فحسب، أما السلطة التشريعية فلم يكن له منها شيء، بل إن سلطته في الاجتهاد كانت محدودة، إن هذه السلطة كما يبدو، قد آلت إلى الأمة في مجموعها بالرغم من أن الإجماع يميل إلى حصرها في العلماء

(من شهادة «الاستشراق»)

وبعد

هكذا شهد هؤلاء العلماء وهم من كبار أساتذة الاستشراق على تميز الإسلام

تتميز الشريعة في النظام السياسي الإسلامي عن النظم الكهنوتية وعن سلطة العلمانية الجامحة فهي سلطة مدنية ذات رسالة إسلامية ومرجعية دينية

ويتميز الفقه الإسلامي فقه الشريعة الإسلامية وقانونها عن القوانين الوضعية بمصدره الإلهي، ورسالته الأخلاقية التي ترسم الحدود لهذا القانون الذي يسعى في ذات الوقت لتحقيق المنفعة الإنسانية، والمصلحة الشرعية المعتبرة للمجتمع الإسلامي

المصادر والمراجع

* د. أحمد عبد الوهاب: الإسلام في الفكر العربي، طبعة القاهرة، سنة (١٩٩٣م)

* شاخت: الإسلام: العقوبات والمجتمع، منشور بكتاب (تراث الإسلام)، ترجمة جرجس فتح الله، طبعة بيروت، سنة (١٩٧٣م)

* شاخت: تراث الإسلام، طبعة بيروت، سنة (١٩٧٨م)

* لامبتون: الفكر السياسي عند المسلمين، منشور بكتاب (تراث الإسلام)، طبعة الكويت، سنة (١٩٧٨م)

* لويس برنارد: تراث الإسلام، طبعة الكويت، سنة (١٩٧٨م)

د. محمد عمارة: الشريعة الإسلامية والعلمانية الغربية، طبعة القاهرة، سنة (٢٠٠٣م)

الفهارس





هدية مجلة الأزهر لشهر شعبان

١٤٣٦ هجرية

magazine.azhar.eg

مطابع [illegible] التجارية - قليوب - مصر